روايات غادة

اليس يونغمان

إبنة الحظ

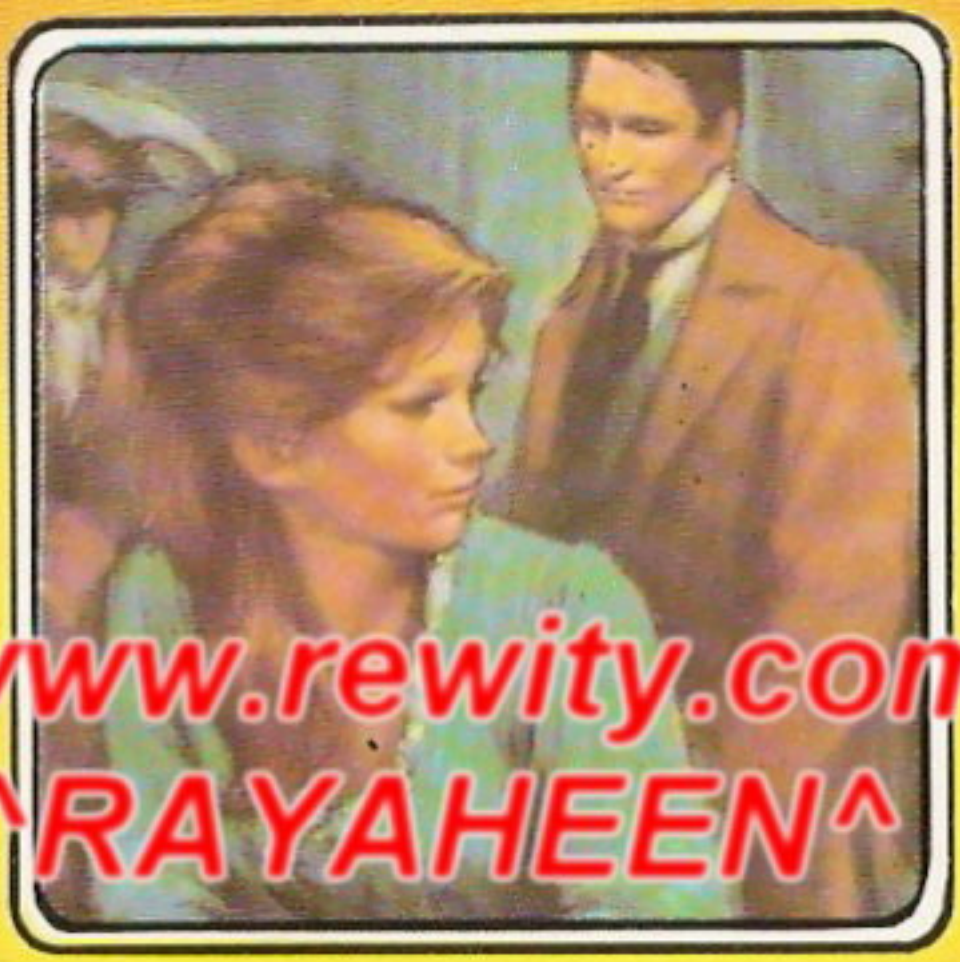

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

غادة

السيس يونغمان

ابنة الحظ

www.rewity.com
ARAB ARTERN

حياتها كانت تدور حول محور واحد أوحد ألا وهو أن تصبح مغنية محترفة. فهي كانت تعرف أن لها صوتاً جميلاً نادراً وأنها ستحقق حلمها الأبدي هذا يوماً ما، لكن فرصتها الصغيرة لتحقيق ذلك سُرقت من قبل رجل يدعى خوليو روتسو لتضاء حياتها مجدداً بفرصة العمر الذهبية بمتابعة تدريبها ودراستها على يد خوليو روتسو نفسه أشهر الموسيقيين في اسبانيا كلها. الشهرة، النجاح والبريق هل يحافظون على روعتهم اذا ما أصبح القلب مشغولاً بمعذب قاسي كل ما يراه بها هو مجرد صوت رائع نادر الطبقة؟ لكن هل ما تعتقده ناتاشا برايت صحيح؟ وهل يمكن أن تكون هي حقاً إبنة الحظ؟؟.

توزيع في لبنان
وكالة المطبوعات اللبنانية
٣١٨٣٠١

وحصرى التوزيع الوحيد في الكويت
الظميني للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٧٨٩٩

جميع حقوق الطبع محفوظة

- ١ -

الامطار كانت تهطل بغزارة لكنها لم تكن تشعر بذلك. الناس كانت تمر قربها مسرعة لكنها لم تكن تراهم. لأنه وبتسلقها للتلة الصغيرة المؤدية الى المنزل القابع على سفح التلة كانت ناتاشا برايت تسير وتسبح بعالمها الخاص.

لم ينبأها أي شيء أن هذا اليوم سيكون مختلفاً عن باقي أيامها المعتادة بهذه البلدة الصغيرة الهادئة والمستقرة بضواحي لشبونة الريفية البعيدة. لقد ذهبت الى درس الغناء هذه الأمسية متوقعة أن يكون الدرس كالعادة، ممتعاً، ساحراً ومتحدياً لكنه سيبقى بالنهاية مجرد درس غناء.

ثم وقبيل نهاية الحصة طلبت منها الآنسة بيرتا، وهي معلمة صلبة، جدية ودائمة الحنق، الجلوس.

«اجلسي ناتاشا. أريد التحدث معك بموضوع جدي وهام».

جلست ناتاشا وقلبها ينتفض بخوف مخافة أن يكون موضوع الآنسة بيرتا يتعلق بإخراجها من دروس الغناء لأن «صوتها دون المستوى» كما كان يطيب للآنسة بيرتا الاعتراف لمعظم من يأخذ دروس الغناء مع ناتاشا.

«لم يسبق لي أن قلت هذا لأي من طلابي السابقين ناتاشا وأشك أنني سأتفوه بذلك لأية طالبة أو طالب عندي في المستقبل. لكن من كل أولئك

الذين مروا تحت يدي هذه ـ والسماء تعلم وحدها عددهم ـ» حدقت بالفتاة المصفرة الوجه الجالسة أمامها وتابعت بعيون براقة: «انت الوحيدة التي أقنعتني انك تستحقين امتهان الغناء حقاً».

«آه ـ آه شكراً لك» شهقت ناتاشا بارتياح وسعادة. لأن الآنسة بيرتا لم يسبق لها وأن امتدحتها مطلقاً من قبل: «لكن هذه كانت نيتي منذ البداية، كما تعرفين. لا أريد أن أكون مجرد فتاة تتلقى دروس الغناء. أنا أريد فعلاً أن أكون مغنية».

«هكذا يقول الجميع، هذا ما يقوله الجميع صدقيني. يأتون الى هنا والثقة تنضح منهم ويبدأون بالزعيق والصفير وبعضهم لا يعرف مجرد قراءة النوتة الموسيقية لكن جميعهم يكون واثق أن العالم ينتظره بأذرع مفتوحة وآذان صاغية. ولا أي واحد منهم عنده الموهبة الوحي، الإخلاص والمقدرة على مجرد كونه كورس».

«و. . . وتعتقدين انني أملك هذه الصفات؟» سألت ناتاشا بنفس متقطع.

«أنا أعرف انك تملكينها. لكن تذكري نحن لا نحظى بالنجاح بمجرد حصولنا على الهبات السماوية النادرة هذه. ما نفعل بهذه الهبات هو ما يهم وما يسمى بالحق نجاحاً، والله قد أعطاك ـ صوتاً من أندر وأروع الأصوات: خامة كاملة العمق وتوضع طبيعي».

«تقصدين. . . تقصدين أن هذا نادراً ما يحدث؟».

«نادراً جداً. وتسعة من الاشخاص العشرة التي يحظون بها يضيعونها. إما لأنهم لا يملكون الذكاء أو الحظ ليميزوا هذه الهبة أو يكونوا كسالى بدون رغبة لتطويرها أو يتشاغلون بأمور الحياة التافهة كالزواج والتلهي أو القيام بعشرات الأسباب الأخرى التي تقضي على هذه الموهبة وتلغيها». حدقت بتلميذتها بوجهها المتورد المذهول وتابعت: «أمل انك لا تنوي الوقوع بإحدى هذه الاخطاء، سيكون ذلك مضيعة وخسارة لموهبتك بأبشع وأرخص الطرق».

«أجل، آنسة بيرتا، أقصد. . . لا آنسة بيرتا» تمتمت ناتاشا والمفاجأة تشل قدرتها حتى على النطق، فهي كانت تدرك بأعماقها أن صوتها جميل لكنها لم تعتقد حقاً أنه بمثل هذه الندرة والروعة التي تقولها الآنسة بيرتا

الخبيرة والعالمة حقاً بكل ما يتعلق بالأصوات والغناء. «أعدك بمتابعة العمل الجاد معك حتى. . .».

«كلا. هذا ما أردت محادثتك به ناتاشا. ليس معي أنا. أنت جاهزة الآن لآفاق أوسع».

«لكن، آنسة بيرتا، انت معلمة رائعة».

«أجل أنا معلمة رائعة» وافقتها المعلمة: «لقد علمتك كل ما باستطاعتي. كنت بحاجة لبعض التدريب والتوجيه الصحيح بهذه المرحلة بالذات. لكني لا أستطيع أن أفتح لك أبواب عالم احتراف الموسيقى الكبير. ولا أي شخص بهذه البلدة الصغيرة بإمكانه ذلك. المرحلة الثانية لا تقتصر فقط على ما ستتعلمينه في الدروس وفي الاستوديو. عليك أن تسمعي الموسيقى الخالدة. ان تحللي سبب خلودها وعليك توسيع مدى خبرتك الموسيقية عليك أن تعيشي فنك الموسيقي لا أن تدرسيه فقط» أوضحت الآنسة بيرتا بحماس: «الألماس الكامل لا يبقى على أهميته اذا ما صُقل بطريقة خاطئة. لقد حان الوقت لك، وبأسرع مما كنا نتصور، للذهاب الى مدريد».

«لا يوجد عندنا المزيد من المال مذ مرض والدي، لقد عاد للعمل للتو. وشقيقي لا يزال بالمدرسة. لا أظن أن بإمكانهم. . .».

«اذهبي الي المنزل واشرحي لهم ما أخبرتك به. عليهم تقديم بعض التضحيات الآن. عادة ما تفعل هذا عائلات الفنانين. لكن حين تصبحين مشهورة، فسيعرفون أن التضحية كانت بمحلها».

حين تصبحين مشهورة! ظلت الكلمات الرائعة هذه تتردد داخل عقلها كأجراس السعادة الأبدية. حين تصبحين مشهورة. . .

وبدأت مخيلة ناتاشا تزهر بدفق كلمات معلمتها الحماسية الواثقة. وتبدت أمامها الحفلات الموسيقية الضخمة، دور الأوبرا، الجمهور الذي يصفق لها، الوكلاء المتراكضين حولها والصحافة التي تكتب عنها. حين تصبحين مشهورة!.

«أمي، أمي. . .» صاحت وهي تدخل المنزل.

«ما الأمر؟» سألت والدتها وهي تسحب الكعك من الفرن.

«أمي. . .» قالت ناتاشا وعانقت والدتها بمفاجأة: «هل اعتقدت من قبل

www.rewayti.net

انني ممكن أن أصبح مشهورة؟».

«بالطبع. فقط تابعي العمل الجاد مع الآنسة بيرتا وبيوم ما...».

«أمي. لقد جاء «اليوم ما» ـ الآن. قالت الآنسة بيرتا أن الوقت قد حان لي للذهاب الى مدريد ـ لأنني بحاجة لآفاق أوسع».

«آفاق أوسع؟ هذا سيعني الكثير من المال دون شك صحيح؟».

طأطأت ناتاشا رأسها بموافقة.

«لقد عاد والدك الى عمله الآن» قالت الأم ببطء وتفكير.

«وقد أتمكن من العمل بنصف دوام في مدريد...».

«وايفان بسنته الاخيرة بالمدرسة...».

«ولا يهمني مطلقاً لو عشت بأقسى الظروف و...».

«ستتدبر الأمر. هناك دوماً طريقة ما. اذهبي وانظري من يقرع الجرس يا حبيبتي...».

«أتقصدين ذلك فعلاً أمي...» أصرت ناتاشا وهي تتجه لتفتح الباب.

«أقصد ذلك بالطبع الا اذا حصلت كارثة ما. سأرسلك الى مدريد بالطبع. افتحي الباب ناتاشا...».

سارعت ناتاشا والسعادة تحمل خطواتها الى الباب وفتحته لتجد رون بلوكيو، الابن الأكبر لصاحب المطحنة التي يعمل بها والدها، يقف على العتبة.

«آنسة برايت، هل والدتك بالداخل؟».

«أجل. ما الأمر؟ انه... انه والدي صحيح؟».

«أخشى ذلك أجل. لكن الأمر قد لا يكون خطيراً. لقد انهار أثناء العمل قبل نصف ساعة، وقد نقلناه الى المستشفى في الحال. أخبري والدتك أن سيارتي في الخارج و...».

لكن السيدة برايت كانت قد وصلت بدورها اليهما وقالت وهي تفك مئزرها: «حسناً سيد بلوكيو. تفضل بالدخول! سأحضر فقط معطفي».

دخل الى المطبخ لأن ناتاشا كانت مذهولة مما سمعته. لكن مع انها قدمت له كرسي الا انه فضل البقاء واقفاً. حاولت التحدث بلياقة لكن كلمات قليلة خرجت من فمها. ويبدو أنه بدوره كان يفتش عن الكلمات.

«يسرني انك موجودة في البيت. فهذا يسهل وقع الأمر على والدتك. هل عدت للتو من العمل؟».

«عدت من درس الغناء».

«آه، انت تغنين. أجل. يبدو أنك ملائمة لذلك».

«وكيف تعرف؟ هل تغني انت بدورك؟».

«كلا. لكني مهتم بقوة بالغناء. ولهذا بلوكيو احدى أهم العائلات الممولة لمسابقة التلفزيون هذه».

«آه» علقت ناتاشا بأدب. ثم وصلت والدتها وغادرت مع الشاب تاركين ناتاشا بمفردها.

من الصعب البقاء بمفردك حين تكون آمالك على درجة الصفر. لم تكن ناتاشا لتشعر بكل هذا الألم والأسى لو أن أحلامها لم تنتعش الى الدرجة الذهبية القصوى.

حين تصبحين مشهورة!.

لكن لم يعد من معنى لهذه الكلمات الآن. تحدثت الآنسة بيرتا عن التضحية والتضحية الواجب حدوثها الآن ستكون من طرف ناتاشا نفسها دون أي شخص آخر. فوالدها مريض، والدتها قلقة عليه وشقيقها الوحيد أصغر من القيام بأي شيء.

دخل شقيقها ايفان بهذه اللحظة. حياها بابتسام وأخبرته هي عما حدث.

«يا لأمي المسكينة! هذا أمر بالغ الصعوبة بالنسبة لها. لكم كنت أتمنى لو أني أكبر سنتين أو ثلاثة. انها وحدها من تتحمل كل العبء. هل عرفت انهما كانا مضطران لزيادة نسبة التأمين على حياة والدي وفقاً لأمر شركة التأمين؟».

«كلا. كيف علمت انت بذلك؟».

«والدي بنفسه أخبرني. فحين أخبره الاستاذ برنون أن عندي فرصة كبيرة بالحصول على منحة دراسية لمتابعة دراستي في الجامعة في مدريد، سر والدي جداً بهذا لكنه أخبرني أن علي الا أتوقع الكثير من المال لأنه كان مضطراً أيضاً لدفع قيمة التأمين الشهري».

«كنت أتمنى لو انهما أخبراني بذلك».

«أظن انهما لم يرغبا بأن يسببا لك أي ازعاج الى أن تنتهي من دروسك. فبعد كل شيء انت الأمل المشع للعائلة، اليس كذلك؟ حين تدهشين الجمهور في قاعات الغناء، سنتمتع نحن بالثراء والرفاه».

«آه، ايفان... هذا مجرد حلم! لا أن أحداً منا أدرك ما يعني فعلاً التدريب على الغناء من تكاليف وأموال. لقد أخبرتني الآنسة بيرتا اليوم فقط انه... انه قد حان لي الوقت للذهاب الى مدريد. وماذا تعتقد هكذا أمر سيكلف؟ وكيف بإمكاني الموافقة على ذلك حتى لو عرض على والدانا دفع المصاريف؟».

مرت فترة صمت طويلة قبل أن يقول ايفان فجأة.

«لم لا تشتركي اذن بمسابقة التلفزيون التي ستقام في قاعة البلدة؟».

«أية مسابقة؟».

«مسابقة تمولها محطة التلفزيون الجديدة في المنطقة وبعض الشركات المحلية ومن ضمنهم آل بلوكيو على ما أظن».

«آه. لقد أخبرني رون بلوكيو بشيء من هذا القبيل وكنت... آه ايفان أين سمعت عن ذلك؟».

«لقد كتبوا كل شيء عن ذلك بجريدة الصباح. ألم تصل نسختنا نحن؟».

سارعت ناتاشا الى حيث يحتفظون بالجرائد وأحضرت الجريدة المختصة وأخذت تقرأها.

«آه، يقولون هنا أن الجائزة ستكون ألفي بيزوس ـ الصحيفة نفسها تمول المشروع أيضاً. وتقول أن المباراة مفتوحة لكل المغنيين وبمختلف أنواع الغناء».

«سيتبخرون جميعهم حولك» علق ايفان بثقة.

«آه، مذكور هنا أن الشرط الأساسي لقبول المشتركين هو قيامهم بعرض مختصر واحد على الأقل آه. هل تعتقد ادائي بحفلة رأس السنة عرضاً مختصراً؟».

«بما انك قبضت أجراً عنه ـ فأجل انه كذلك».

«لكن الاجر كان مجرد مئة قرش».

«هذا كان ما يساويه صوتك بتلك الاثناء» جاءها الرد.

«آه، ايفان... كأنه مكتوب لي ان يحدث هذا. وكأنه... كأنه القدر».

«انه القدر فعلاً» وافقها ايفان بمرح كونه أول من بشرها بذلك.

«فقط لو تسمح لي الآنسة بيرتا بذلك! انها ترفض اشتراكي بأية مسابقة أو أي شيء قبل أن أصبح متمكنة وقادرة. ويقولون هنا أن الرابح سيقوم ببرنامج تلفزيوني خاص يؤدي به أغنية أو اثنتان».

«ابتهجي. انت لم تربحي بعد. مع انني أراهن انه لا يوجد أي صوت آخر بالبلدة كلها بمثل جمال صوتك. انها فرصة العمر بالنسبة لك ناتاشا! عليك اقناع بيرتا الصارمة بذلك. لا تقولي لي أن بعض العروض التلفزيونية ستضرّبك. وحالما تحصلين على الجائزة وتقومي بالالتزامات المطلوبة فستتمكني من متابعة الدراسة الجدية».

«من الذي يتكلم الآن وكأني قد ربحت الجائزة؟» علقت ناتاشا وضحكا سوياً. وعلى صوت ضحكاتهما دخلت الوالدة.

الاخبار حول والدهما كانت مطمئنة. فقد استعاد حالته العادية ولكن منعه الطبيب من القيام بأي جهد أو تعب وقد كان السيد بلوكيو أطيب ما يكون حين اختصر عمله في المطحنة على الاشراف فقط وقد وعد بتقديم نصف معاش للسيد برايت طوال فترة عمله الاشرافي هذا على أن يعاود حصوله على المعاش بأكمله حين يستعيد عافيته تماماً ويعود الى عمله المعتاد خلف آلة الطحن.

«لكن هذا لن يكون مساعداً لما وعدتك به يا حبيبتي. آسفة، لكن عليك صرف نظر عن هذا الموضوع ولو في الوقت الحالي فقط...».

«لا بأس أمي. لا تفكري مطلقاً بهذه النقطة الآن انتظري الى أن يستعيد أبي صحته تماماً و...».

وقاطعها ايفان فوراً مطلعاً والدته عن مسألة مسابقة التلفزيون.

وافقت والدتها على الفكرة ووجدتها فعلاً فرصة ذهبية لناتاشا ولهذا وجدت ناتاشا صعوبة بالأيام اللاحقة بالمحافظة على آمالها على درجة منخفضة. حتى تعليق الآنسة بيرتا العادي لم يخفف من اندفاع آمالها وسرورها.

«ليس هذا هو الشيء الذي أفضله لك» قالت المعلمة. «لكني أجد ونظراً

لمرض والدك انه . . .».

تناولت الصحيفة من ناتاشا وأخذت تقرأ الإعلان.

«مزيج من لجنة الحكم كما أرى. معظمهم رجال استعراض كما أعتقد - وليس موسيقيين حقيقيين».

«يقولون انهم يأملون بحضور قائد فرقة موسيقية مشهور» دافعت ناتاشا.

«لربما شخص سيرسل اعتذاره لهم باللحظة الاخيرة. ولهذا هم يبقون اسمه سرياً. على كل حال فقط بحالة حضور شخص مهم ما فعلينا اختيار أغنية هامة لك لتقديمها».

«أغنية شعبية ومعروفة ربما؟» علقت ناتاشا: «فهذه مسابقة عامة آنسة بيرتا».

«كلا، كلا. أغنية زهرة القمر ستكون المثلى لهكذا مسابقة».

«الا تظنين أنه من الافضل تقديم أغنية اوبرا أفضل؟».

«كلا، بالرغم من أهمية الاوبرا واحترامي الشديد لبوشيني لكن الاوبرا لن تكون مدخلاً مناسباً لمغنية مبتدأة للدخول الى عالم الفن».

شعرت ناتاشا برغبتها لإخبار الآنسة بيرتا أنه ونظراً لأهمية الجائزة الكبرى فعليها تقديم شيء فاخر وجميل لكن نظرة واحدة الى وجه المعلمة جعلها تغير رأيها وتوافق بالتالي على تأدية أغنية «زهرة القمر» وبدأت بالتدريبات اللاحقة فوراً.

استلمت ناتاشا بعد يومين دعوة الحضور وأصيبت بالخيبة حين وجدت أن دورها هو الثلاثون.

«سيكونوا ميتين أو مالين تماماً حين يأتي دوري ايفان» قالت بانتحاب لشقيقها.

«ستوقظيهم تماماً وترفعينهم الى السماء بصوتك الشجي ناتاشا، فلا تبتأسي».

باليوم الموعود ارتدت ناتاشا ثوبها الأزرق الفيروزي الأجمل وسرحت شعرها جيداً واتجهت الى قاعة البلدة ومشاعر متضاربة من الأمل واليأس تنتابها.

لم تكن المباراة مفتوحة للجمهور من العامة، وهذا ما سبب لناتاشا

الارتياح، مع ان عدداً من الممولين وجد أن من حقه الحضور وقد سمح للمشتركين بالجلوس أو البقاء للسماع الى بقية المشتركين اذا ما رغبوا بذلك. أخذت ناتاشا تعد المشتركين بقلق ووجدت عددهم ثلاثين بالضبط مما زاد من احباطها لرقمها.

القاعة كانت رائعة فعلاً بديكوراتها الفنية. لم يكن بها من كراسي ثابتة ولهذا فقد تمكن المنظمون من وضع عدداً من الكراسي العادية أمام مقعد لجنة الحكم وكان كل مشترك يستدعى بنطق اسمه ورقمه جلست ناتاشا مكانها بترقب طوال فترة الاداء الصباحية والتي أنهت نصف عدد المشتركين. بالبداية كانت أعصابها تتحرق مخافة من وجود منافس قوي لها. لكن وبعد سماعها للعشرة الأول خف توترها وتمكنت من الاسترخاء قليلاً والتطلع الى لجنة الحكم بالتالي.

ميزت رئيس الترتيل في الكنيسة. اثنان من الفنانين المعروفين بعالم الغناء، رجلين كنا مألوفين نوعاً ما لنظرها لكنها لم تتذكر رؤيتهما لهما من قبل. هذا بالإضافة الى امرأة جذابة متوسطة العمر كانت تأخذ المسابقة على محمل الجد كما يبدو. هذا كان مناقضاً تماماً لوجه الرجل الذي يجلس الى يمينها. وجهه كان جذاباً بعيون سوداء واسعة ساحرة وقوة شخصية واضحة، لكنه كان يشعر بالملل كما يبدو مما يسمعه ونظرته كانت ساخرة ومتسلية وهو يرمق المشتركين وأدائهم كل بدوره.

بعكس الآخرين، الذين كانوا يسجلوا بعض الملاحظات على الأوراق البيضاء أمامهم. كان هذا الرجل ممتنعاً عن كتابة أية كلمة وكأنه لا يجد أحداً من المتبارين يستحق تعليقه عليه. لم تكن واثقة من شعورها بالفرح أم بالخوف من هذا.

خلال فترة استراحة الغداء اكتفت ناتاشا بتناول بعض الساندويتشات وحين كانت بطريق عودتها الى مكانها التقت برون بلوكيو الذي حياها بدفء ومودة مما أسعدها.

«تبدين مشعة وساحرة بهذا اليوم. كيف حال والدك؟».

«انه يتحسن تدريجياً» قالت.

«هل ترغبين بحضور المسابقة. تعالى معي اذن أنا سأحضر بفترة بعض

الظهر الحالية».

«أنا... أنا مع المتبارين. كنت هناك طوال فترة الصباح لكن أخشى أن دوري هو الاخير».

«اذن أنا مسرور لاختياري الحضور في فترة بعض الظهر. من أحضروا كلجنة حكم بالنهاية اذن؟».

أخبرته ناتاشا عن رئيس التراتيل والفنانيين الآخرين والبقية.

«لا شك أن الرجلان هما فان وستنغ دون شك».

«أجل، أنا أتذكر الآن. لقد شاهدتهم لمرة أو مرتين على شاشة التلفزيون. لهذا وجدت وجوههم مألوفة. هناك أيضاً امرأة جذابة. تفهم دون شك الكثير بالموسيقى و...».

«انها راندا بيور. كانت مغنية اوبرا مشهورة بأيامها. وهي تدرس الآن في مدريد».

«انها لا تزال جذابة جداً وجميلة. ثم هناك رجل مرعب وواضح الملل بنظرة متعالية. تصور أنه لم يكتب ولا أية كلمة على ورقته يبدو وكأنه يتساءل عن السبب الذي دفعه للتواجد بمثل هذا المكان».

ضحك رون بلوكيو وهز رأسه.

«لا أعرف من قد يكون هذا. أحد المنتجين ربما».

«هو لا يبدو وكأنه منتجاً. آه، انظر ها هوذا» قالت بصوت هامس فيما مر شخص طويل القامة أمامهما عبر الممر.

«هذا؟ آه يا فتاتي العزيزة، ذاك هو خوليو روتسو. الموسيقي المشهور! هم لم يتوقعوا فعلاً حضوره. كانت دعوته مجرد محاولة من الصحيفة. لو لم يكن يرأس الحفلة الموسيقية في لشبونة البارحة ـ لما كان حضر ـ حسناً. أنا أشعر بالفخر».

«هل ذاك هو خوليو روتسو حقاً؟» رددت ناتاشا وهي تشعر بعودة التوتر والقلق اليها. فخوليو روتسو كان من أهم الموسيقيين في اسبانيا كلها.

«ابتهجي يا فتاتي» طمأنها رون وهو يتأبط ذراعها بتشجيع: «على الأقل هو يعرف كل شيء عن الموسيقى حقاً وسيكون له رأياً صحيحاً فيما ستقدميه».

عادت ناتاشا الى القاعة وهي تشعر بالتشجيع ووجدت أن معظم المتبارين قد غادروا.

نظرت اليها المشتركة الجالسة الى جانبها بوجهها الطفولي وهمست: «هل سمعت؟ لقد صرفوا معظم المتقدمين!».

«جميعنا تقصدين؟ حتى قبل أن يستمعوا لنا؟».

«كلا، كلا. الذين تقدموا قبلنا هم من أقصدهم قريب لي على معرفة وثيقة مع غريغوري فان وقد أخبرني أن بعض أعضاء اللجنة أرادوا التفكير بجدية ببعض المشتركين لكن روتسو... ذاك الذي يجلس الى يمين السيدة بيور قال انهم لم يكونوا حتى جيدين ولم يجد شيئاً مما يسميه صفقة النجومية عند أحدهم. حدث بعض الجدال لكنه من ربح بالنهاية. يجب أن أقول أن الحصول على علامة واحدة الآن أصبح صعباً جداً».

انه كذلك بالطبع! فكرت ناتاشا وهي تسترق نظرة الى الرجل الذي كان يسيطر على وجود الجميع غيره على المنصة أمامها. ولاحظت ناتاشا انها قد رأت شبه نظرة رضى تمر على ملامحه الوسيمة المتكبرة. انه حقاً بغيض! سواء أكان مشهوراً أو عبقرياً!.

الحكم المبرم والقاسي على متباري الصباح كان له الأثر الكبير على ثقه متباري المساء. فقد تأثر أداء الباقين بوضوح وكان خوليو روتسو، المستلم القيادة الآن، يقاطع المتبارين ببداية أدائهم ويعلن الاكتفاء مما سمعه ولجنة الحكم.

ثم وقبيل نهاية المساء استدعيت الفتاة صاحبة الوجه الطفولي الجالسة قربها. ومع انها كانت شديدة التوتر الا انها اتجهت بجرأة الى المنصة وبدأت الغناء.

كان صوتها جميلاً ببحة خاصة وما كانت تغنيه كان مرحاً وجعل لجنة الحكم تضحك فعلاً. حتى خوليو روتسو نفسه تبسم قليلاً. ثم فجأة انتهى المقطع الغنائي بنبرة حزن وتحول صوت الفتاة تبعاً للكلمات بشكل مؤثر جعل عيون ناتاشا تدمع قليلاً من التأثر.

استدعت اللجنة الفتاة ـ للمرة الأولى منذ الصباح ـ وسألها أحدهم.

«من أين حصلت على هذه الاغنية انسة باري؟».

«أنا من ألفها» قالت الفتاة بهدوء.

«هذا جميل» علق فان.

«جميل جداً» علق أحد الفنانين.

«ليس تماماً خطنا المعتاد الغناء لكن...» قال فان باعتذار لخوليو روتسو الجالس على طرف الطاولة البعيد.

«على العكس، أجد خط الغناء هذا مناسباً جداً» أجابه الموسيقي الشهير بصوت واثق، بارد بنبرة خاصة: «تتمتع الآنسة باري بمسحة النجومية التي أفضل. لا يبدو اننا سنجد أي شيء آخر غير معتاد ببقية هذه الجلسة».

كان هذا ظالماً ومجحفاً بالطبع للمشتركين الستة الذين لم يؤدوا أدوارهم بعد وتمتم فان فوراً بشيء ما لكن خوليو روتسو لم يهتز. طلب من الفتاة ذات الشعر الداكن الانتظار وأستدعي الرقم التالي.

تقدم شاب خجول بصوت غير ممرن وغليظ نوعاً ما ولاحظت ناتاشا الآن أن الموسيقي الشهير قد أغمض عيونه وبدا بعيداً جداً عما كان يدور حوله.

«سأجعله ينتبه» ردت ناتاشا بنفسها بحنق: «كيف يجرؤ على التصرف بمثل هذه الطريقة؟ مظهره هكذا يكفي لانتزاع الشجاعة من قلب أي شخص. اذا ما خاف الجميع فأنا لن أهتز ولن أرتعب».

وبحمى غضبها حافظت على هدوءها حتى وصل أخيراً ـ أخيراً دورها.

«الآنسة برايت، الرقم ثلاثون».

«المبارية الاخيرة على ما أظن» علق فان.

«الحمد لله» كان تعليق الموسيقي الشهير.

متسلحة بغضبها تجاهلت ناتاشا هذا التعليق لأن رون بلوكيو ابتسم لها ابتسامة تشجيع مشعة جعلتها تتقدم بثقة نحو المنصة.

«سأغني له» فكرت ناتاشا وهي تشعر بالامتنان للشاب الوسيم: «سأغني له لأنه يريدني أن أنجح. سأنسى كل شيء من ذلك البغيض المتعجرف...».

لكن وهي تصلح من وضع مكبر الصوت أمامها وبقوة خفية وجدت عيونها تتجه الى البغيض المتعجرف بالذات الجالس هناك واضعاً ذقنه بين أصابعه وعيونه مركزة عليها بعدم اكتراث. وبطريقة ما نسيت كل شيء عن

رون بلوكيو وغنت لخوليو روتسو مدركة انه، دون كل الموجودين الآخرين، من يعرف تماماً الموسيقى والأصوات. لم يتغير أي شيء بتعابيره. فقط نظر الى ورقته للحظات ولاحظت للمرة الأولى مدى كثافة وطول رموشه وللمرة الأولى أيضاً كتب شيئاً ما على الورقة أمامه.

تابعت ناتاشا غناءها مدركة أن صوتها الرخيم الصافي كان يتهادى على درجة الايقاع الصحيحة. الآنسة بيرتا نفسها كانت لتجد خطأ بهكذا أداء. لهاثها كان حاداً بعض الشيء لكن هذا طبيعي! فهي كانت مضطربة ومتوترة حتى خوليو روتسو نفسه لن يعتبر هذا مأخذاً عليها نظراً لتوترها وإثارتها لأنه نفسه قد كتب تعليقاً ما حولها هي وحدها.

بنظرة متوترة سارعت نظرتها لتفحص وجوه لجنة الحكم بعد أن أخطأت ولثانية واحدة بمتابعة درجة السلم الموسيقي نفسها. فان كان يتكيء الى الامام والاعجاب يملأ ملامحه، راندا بيور كانت تبتسم لها. حتى بقية الاعضاء هزوا لها رأسهم بموافقة فيما علق ستنغ قائلاً بوضوح.

«انه فعلاً صوت رائع».

«لكنه بدون حساسية بالغة» علق خوليو روتسو ببرود: «مجرد خامة صوتية جيدة. لا يوجد أية تساؤل حول الفنانة الحقيقية لهذا اليوم برأي. الآنسة باري بطريقتها المميزة هي المتبارية القديرة».

تقلص فان بوصفه المتحدث باسم اللجنة. فمن الواضح أنه لم يرغب بصدور القرار النهائي أمام الباقين وبشكل علني هكذا فأضاف بسرعة.

«شكراً لك آنسة برايت، هلا انتظرت من فضلك؟».

ثم جمع أوراقه واستدعى الباقين الى الغرفة المجاورة للمناقشة بشأن القرار النهائي. فيما ظلت ناتاشا مع الفتاة ذات الشعر الداكن بالاضافة لشاب ثالث بالانتظار والقلق يتآكلهم جميعاً.

كانت هذه أطول دقائق تمر على ناتاشا وأدركت دون أدنى شك أن خوليو روتسو في الغرفة المجاورة ـ كان يقضي على كل فرصها بالنجاح.

«مجرد خامة صوتية جيدة» كان كل ما علق به وكأنها مجرد غصة. وأخيراً خرج سكرتير السيد فان من غرفة الاجتماع واستدعى الثلاثة الى القاعة.

بكلمات رقيقة وفرحة أخبر الفتاة ذات الشعر الداكن عن رغبة اللجنة

www.rewity.com YAHEENK

برؤيتها ولناتاشا والشاب الآخر تابع: «شكراً جزيلاً لكما. لقد سر لجنة الحكم الاستماع اليكما، ومع انهما لن يقدما لكما أية جوائز لكنهم يرغبون بالاستماع اليكما بمناسبات أخرى».

كانت كلماته السكر الذي يغلف حبة الدواء المريرة. وحده الكبرياء منع ناتاشا من البكاء وجعلها تقول بصوت مخنوق.

«تهانينا» وعانقت الرابحة قبل أن تغادر المكان.

لقد تبخرت فرصتها الذهبية. وتعاظم بأعماق ناتاشا الاقتناع الكامل أنه لو تسنت لها الفرصة الصغيرة الآن لكانت أصبحت مغنية مشهورة. أخذت تبكي بحرارة الآن بعد أن أصبحت وحدها بالشارع المظلم. أدركت ضمن دموعها كم كانت تتحرق شوقاً لنجاحها هذه الليلة. لقد تحطمت كل آمالها وأحلامها وأدركت عظم مرارة الفشل.

ولو لم يتدخل خوليو روتسو هذا ـ الذي من المفترض به أنه يعرف كل شيء ـ لكانت حصلت على فرصتها. هي تعرف ذلك، تعرف تماماً انه لولاه لكانت حصلت على الجائزة وعلى المستقبل الزاهر.

الفتاة الأخرى كانت جيدة أجل، لكن هي وحدها كانت تستحق الجائزة ـ فصوتها كان أفضل بدرجات كبيرة عن صوت الأخرى. لكن الموسيقي الشهير وحده من ألح دون شك على تجيير الجائزة لتلك الفتاة.

تنهدت بعمق مصدرة صوتاً يائساً عميقاً واستدارت حول منحنى القاعة لتصطدم بشخص كان ماراً من هناك.

«آسفة» تمتمت.

«آه يا فتاتي العزيزة» جاءها صوت رون اللطيف الذي وضع ذراعيه حولها بتعاطف دافىء: «انت تبكين!؟ ما حدث كان خيبة أمل كبيرة لك؟!».

«أ... أجل. النجاح ـ كان يعني الكثير لي ـ كنت سأستعمل المال لمتابعة ـ تمريني و... أعرف أن هذا أمراً بغيضاً للقول... لكني أعرف أنني أملك أفضل صوت من كل الباقين. أنا أعرف ذلك».

«هذا ما اعتقده أنا بدوري. لا أعرف ما الذي دفع بروتسو لاختيار الفتاة الأخرى. هم دائماً يقولون انه شخص هوائي متقلب أجل. اعتقد ان كل العباقرة كذلك أحياناً. لكني اعتقدت انه لا يوجد أدنى شك بحصولك انت

على الجائزة. هو حقاً من يفهم أكثر بشأن الاصوات، أكثر من أي شخص آخر بكل أوروبا. هم يقولون...».

«لا يهمني ما يقولون. أظن أنه شخص متكبر، أناني وبغيض. كان يمثل طوال الوقت! مدعياً انه أفضل وأسمى من حضوره لما كان يجري حوله. ذاك الرجل لا يكترث حقاً للفن أو الموسيقى أو الفنانين. كل ما يكترث له حقاً هو خوليو روتسو العظيم نفسه» وتراجعت قليلاً لتنظر الى رون حتى تؤكد وجهة نظرها حين ارتطمت بغير قصد بشخص ما كان يخرج من باب القاعة الخلفي.

«عذراً» قال صوت بارد وأمسكت بها يد قاسية مبعدة اياها عن الطريق. ثم وهي تحدق بذهول بظهره والغضب والخيبة يتآكلانها عبر خوليو روتسو الرصيف ودخل السيارة التي كانت بانتظاره وانطلق بعيداً.

«اه...» علقت ناتاشا بصوت مخنوق. ثم استعادت شجاعتها وتابعت بتحدي: «أنا مسرورة! هو لم يسبق له وأن سمع بالطبع حقيقة شخصيته هكذا».

«بالتأكيد. فإنه يعتبر كقدس الاقداس في محيطه على ما أظن. هذه هي حال معظم الموسيقيين العِظام».

ثم أصر رون بلوكيو على توصيلها الى منزلها وودعها قائلاً:

«لا تيأسي يا فتاتي. اذا كان صحيحاً انه لا يمكن لأحد رفض رجل جيد فمن الاكثر صحة انه لا يمكن رفض فتاة جميلة وموهوبة مثلك».

الكلمات كانت لتربحها الجائزة لكنها كانت كالبلسم لجراحها ووجدت نفسها تبتسم له بامتنان وهو يلوح لها بيده مودعاً وأعطتها كلماته الشجاعة بإطلاع ايفان على خسارتها.

خلال الايام القليلة اللاحقة أجبرت ناتاشا نفسها وبنجاح على وضع كل أحلامها وأمانيها جانباً وخرجت لتفتش عن عمل ما لمساعدة عائلتها بوضعهم الحالي. لكن النتيجة لم تكن مشجعة فكل مؤهلاتها كانت مجرد درجة تعليم ثانوي مع صحة جيدة ووجه جميل.

«تقصدين انك لا تعرفين الطباعة أو حتى الاختزال؟» سألها الشاب الجالس خلف مكتبه.

«في الحقيقة لا» اعترفت ناتاشا.

«حسناً، سأسجل اسمك عندنا على كل حال» قال الشاب وكأن مجرد تسجيله لذلك هو مضيعة للوقت: «وسنرسل لك في حال ـ في حال...».

وماتت بقية الكلمات بتمتمة غير مفهومة وخرجت ناتاشا الى الشارع مجدداً. وحالما فعلت طرق أذنها صوت ينادي من جهة الشارع المقابلة. استدارت لتشاهد الآنسة بيرتا ـ الصارمة والمتمسكة تماماً بآداب الشارع واللياقة ـ تلوح لها وتندفع نحوها رغم خطورة هكذا عمل لأن السيارات كانت تروح وتجيء عبر الشارع.

صوت بوق قوي تبعه صوت توقف حاد منع السيارة من الاصطدام بالآنسة بيرتا المندفعة نحو رصيف ناتاشا.

«هل انت عمياء؟ ام بلهاء؟» صاح سائق السيارة بحنق قبل أن يشتم ويتابع طريقه.

«آنسة بيرتا ما الذي جعلك تقطعين الشارع هكذا؟».

«لا أعرف. على الأقل، أجل أعرف. علي التحدث معك وكنت أخشى أن أفقدك بهذا الزحام. لم تكوني بالمنزل حين طلبتك».

«لكن ما الذي حدث؟» سألتها ناتاشا بحيرة خالصة وهي ترمق معلمتها التي كانت تتوهج بإثارة.

«تعالي معي الى المنزل. تعالي الآن وسأخبرك. قد يساعدني هذا على تصديق ما حدث».

وبالرغم من أسئلة ناتاشا المستفسرة الا أن المعلمة لم تنطق بشيء بل سارعت الخطى وبشبه ركض وصلت وناتاشا بأعقابها الى المنزل.

«تعالي الى غرفة الموسيقى» قالت المعلمة وسارت الى الغرفة التي كانت ناتاشا تتمرن بها كل يوم وشعرت بالغصة بأعماق قلبها.

«اجلسي. والآن اقرائي هذا».

تناولت ناتاشا الورقة من معلمتها وكلها ذهول وحيرة وقرأت العنوان.

١٤ بناء آسو ـ مدريد رقم ٧

بما أن هذا لم يطلعها على شيء فقد سارعت ناتاشا لتتابع:

«سيدتي العزيزة

لقد طُلب مني الاتصال بك كونك معلمة الموسيقى للآنسة ناتاشا برايت والتي اشتركت بمسابقة تلفزيون النجوم يوم الخميس الماضي. لقد سمعها أحدهم بتلك المناسبة وقد تأثر تماماً بصوتها وأراد متابعة تمرينها الموسيقي. وقد طلب مني الاهتمام بهذه المسألة بالذات. ولهذا سأضطر أن أطلب منك اطلاع الآنسة برايت على محتويات هذه الرسالة وتدبير مسألة ايصالها الى مدريد يوم الثلاثاء المقبل على العنوان المذكور أعلاه حتى أتمكن من توجيهها الى طريق المستقبل الغنائي المحدد والمناسب لها.

المخلص خوليو روتسو».

«أنا.. لا.. لا! أصدق هذا» همست ناتاشا والرعب والنشوة يمزقانها: «أنا لا أصدق».

«ولا أنا أيضاً. لقد بكيت حين استلمت الرسالة وعرفت فحواها».

«اه. آنسة بيرتا هل فعلت حقاً؟» فهذه المعلومة كانت مذهلة كالرسالة تقريباً. لأن ناتاشا لم تتخيل معلمتها الصارمة والجدية تبكي لأي سبب.

«بالطبع. ماذا كان بإمكاني أن أفعل غير ذلك؟ هذا هو الشيء الذي يحلم به المرء ـ الذي يتضرع لله من أجله... لكن لا يتوقع أبداً حصوله كونك انت ـ تلميذة عندي ـ مؤهلة وتستحقين أن تتمي دراستك الموسيقية عند شخص مثل خوليو روتسو».

«ليس هذا أفضل جزء من الموضوع. في الحقيقة هذا هو الوجه السلبي الوحيد للمسألة كلها. أنا بالكاد أستطيع تحمل فكرة أن أكون تحت سلطة ذاك الشخص البغيض، لكن...».

«انه عبقري. والعباقرة ليسوا متوفرين بكثرة ناتاشا. كوني شاكرة لأنه يعرف فقط انك موجودة».

«لا أظنه يريد معرفة ذلك. لا أتصور كيف تم اقناعه بالقيام بتدريبي. لكن شخص ما ـ من هو هذا الشخص؟ ـ الذي تحدث معه ووافقه على أن يدفع له بكرم أو شيء من هذا القبيل مقابل تدريبه لي. لا أتخيل اي شخص مهتم كفاية ـ حولي اما بطريقة شخصية أو حول امكانية أن أصبح مغنية».

«أنا أتساءل. لربما كان هذا الشخص هو خوليو روتسو نفسه. لربما هو اعتقد بشكل سري انك جيدة لا بل ممتازة وقرر أن يكون نجاحك على يديه

لكنه فضل أن يبقي اسمه غامضاً وسرياً».

«آه آنسة بيرتا عزيزتي. هو لن يفكر بهكذا شيء ولا بعد ألف عام. ولا أي شخص آخر سيتأثر بهكذا تصرفات رومانسية بالقدر الضئيل الذي يتأثر به خوليو روتسو نفسه، أنا واثقة من ذلك. وكنت أتمنى فقط لو انك رأيت الطريقة المقززة التي أبعدني بها. على الأقل، لا، أنا لم أنس ذلك ولا أزال حتى الآن أشعر بالإذلال. لقد قال أنني مجرد غصة...».

«غصة؟» رددت الآنسة بيرتا بذهول.

«ليس بالضبط. لكنه استعمل تعبير «مجرد خامة صوتية جيدة بدون أحاسيس» وقد تكبد العناء ـ العناء الكبير ـ لإقناع لجنة الحكم بعدم جدارتي. لكن هذا لا يهم الآن. شخص ما فكر بطريقة معاكسة لذلك. شخص ما...» توقفت فجأة واحمرت وجنتاها ثم اصفرت مجدداً وتابعت: «آه.. أظن.. أنني أعرف.. هويته».

«اذن أبقِ هذه المعرفة بداخلك. مهما كانت هوية من فعل هذا لك فقد جاهد ليبقى اسمه مجهولاً. أقل ما يمكنك أن تفعليه له هو احترام رغباته أو رغباتها بالسرية التامة».

«رغباته» صححت ناتاشا: «رغباته بالتأكيد».

وبموجة امتنان جلبت الدموع الى عيونها تذكرت ناتاشا كلمات رون بلوكيو لها حول استحالة رفض «فتاة جميلة وموهوبة مثلها».

كان الشخص المقصود هو رون بلوكيو بالطبع. يجب ذلك! وفجأة أرادت ناتاشا أن يكون رون هو فعلاً الشخص الملاك لدرجة لم تستطع ان تشرحها.

لربما بعد كرم والده مع والدها، عليها أن ترفض قيامه بهكذا خدمة جليلة لها هي أيضاً. لكنه تفهم جيداً خيبة أملها المحطمة. لقد شعر بالظلم والجور الذي تعرضت له بعمق وصدق. وهو من أخبرها بحرارة عن مدى اعجابه بصوتها وكيف انه ـ وبالرغم من عدم تمتعه بصوت مناسب للإقناء ـ الا انه يهتم كثيراً بالموسيقى والغناء. كل هذا يؤدي الى شيء واحد. انها تدين لرون بلوكيو ولرون بلوكيو فقط بهذه الفرصة الرائعة التي لا تحلم بها الا بأجمل أحلامها.

الشيء الوحيد الذي كان يدهشها بالمسألة هو تسليم القيادة لخوليو روتسو نفسه لتدريبها! فرون يعرف تماماً حقيقة شعورها نحو هذا الموسيقي الشهير ولابد أنه قد أدرك انها ستكون ممتعضة ومنزعجة لمجرد فكرة العمل مع ذلك المتكبر المتعجرف.

من ناحية أخرى، هي تدرك بالرغم من رأيها الشخصي بالرجل انه وطبقاً لما قاله رون نفسه الشخص الملائم تماماً للإهتمام بالمغنين وبالأصوات الحقيقية. ظلت ناتاشا والآنسة بيرتا تناقشان هذا الحدث الغير معقول. لأكثر من ساعة تقريباً. وأدركت ناتاشا مع كل لحظة تمر ان هذه الرسالة المختصرة والمطبوعة على الآلة الكاتبة قد غيرت مصيرها وحياتها بأكملها.

«أتمنى فقط الا يكتفي بسماعي ثم القول انني لا أستحق اهتمامه» قالت بعصبية.

«لا شك أنه قد توصل لرأي ما بشأنك وستحظين أخيراً بالفرصة المطلوبة لإثبات نفسك».

«سأفعل ذلك. سأفعل. سأجعله يسحب كلماته الحقيرة المذلة عني يوماً ما».

كان عليها في المنزل مجدداً شرح ما حدث وبطريقة التكرار حتى استوعبت والدتها أخيراً المعجزة التي حدثت. ثم حدثت والدتها عندئذ عن فشلها بالمسابقة التلفزيونية.

«يا لطفلتي المسكينة، كيف استطعت كبت هكذا أمر عني؟ هكذا خيبة مريرة».

«لا يهم الأمر الآن» قالت ناتاشا بابتسام. وهذا كان شعورها الحقيقي. لا خيبة، لا يأس ولا حزن. والشكر بذلك يعود الى رون بلوكيو الذي منحها فرصة ألماسية جديدة.

أخفت ناتاشا ايمانها السري هذا حتى عن والدتها وهوية الممول السري كان موضوع الحديث في آل برايت طوال الأيام التي تلت.

كتبت الآنسة بيرتا تؤكد ايصالها للرسالة وتبرعت بسخاء أيضاً بعرض دفعها لتكاليف سفر ناتاشا الى مدريد. لكن بدا أن هذا لم يكن ضرورياً لأنه وبالبريد التالي وصلت بطاقة سفر بالقطار من الدرجة الأولى بالاضافة الى

مبلغ من المال «للوجبات وأجرة السيارات» كما أوضح المرسل.

«انه يفكر بكل شيء، يا له من حبيب» فكرت ناتاشا ولم تكن تقصد خوليو روتسو بالطبع.

يوم الثلاثاء كان يوماً مشمساً جميلاً ومليئاً بالأمل وفيما هي جالسة بمقعدها داخل القطار السريع فكرت ناتاشا عن عمق وذروة اليأس والأمل التي مرت بهما خلال الأسابيع القليلة الماضية.

كانت الساعة تشير الى الثانية حين وصلت ناتاشا الى مدريد، عاصمة الجمال والحب. ولهذا فقد استقلت التاكسي متوجهة تماماً الى العنوان المطلوب. قلبها كان ينتفض بشدة الآن وهي تتمنى لو ان الموسيقي الشهير لم يسمع رأيها الخاص به تلك الأمسية في البلدة. بدا ذلك المشهد شجاعاً بذلك الوقت لكن الآن وهي وحيدة في مدريد وعلى وشك مقابلة خوليو روتسو ـ شعرت بالندم لتفوهها تلك الكلمات على مسمع منه.

وصلت أخيراً الى المكان المطلوب ووجدت البناء ضخم جداً والشقة رقم ٧ تحتل القسم الأكبر من الطابق الرابع عشر.

استقبلتها امرأة متوسطة العمر بوجه بشوش وقالت: «تفضلي الى غرفة الاستوديو انسة برايت. سيصل السيد روتسو حالاً.

لم يكن من أحد بداخل الغرفة لكن فيما دخلت ناتاشا اليها وأخذت تنتزع قفازيها بتوتر دخل الموسيقي الشهير من باب جانبي. حياها بلياقة وطلب منها نزع معطفها والجلوس. لا شيء في تصرفاته كان يدل على تذكره لأحداث آخر مقابلة لهما معاً، لكنها لم تصدق فعلاً أنه نسي اية معلومة عن لقاءهما ذاك.

«أخبريني عن تجربتك بالغناء حتى الآن» أمرها.

وحين أطلعته على ذلك تمتم بنفاذ صبر: «عملياً اذن انت مجرد مبتدأة».

«أعرف أن ذلك ليس بالكثير. لكن الآنسة بيرتا ـ معلمتي الموسيقية ـ قد أخبرتني انني حصلت على الأقل على الدرجات الصوتية المطلوبة وعلى التوضع الطبيعي لنبرة صوتي».

«انت لا تقولين. لا بأس، هيا دعينا نسمع صوتك».

تكلم وكأنه لم يسبق له وأن سمع صوتها من قبل وتساءلت للحظة ان كان

قد نسي فعلاً!.

لكن حين جلس خلف البيانو عازفاً ألحاناً تقيّم نبراتها ودرجات صوتها اقتنعت مجدداً انه لم ينس شيئاً من أمسية القاعة.

«أود أن أسمعك تغنين مقطعاً اوبرالي. ما الذي تعرفينه بهذا المجال؟».

فكرت بثورة ضد الآنسة بيرتا للحظات والتي قالت أن غناءها للاوبرا خلال المسابقة لم يكن مناسباً للعامة. لكن بعد كل شيء خوليو روتسو لم يكن من العامة بالطبع. هو من قال أن عندها خامة صوتية جيدة فقط وبدون أحاسيس.

«سأغني مقطع دياندرا من الفصل الأول لأوبرا بويم لو سمحت».

«تفضلي» قال ولسبب ما ابتسم لطلبها ولم تستطع الا ان تنتبه الى ابتسامته الجذابة بشكل غير معقول. أعطاها الجملة الابتدائية الأولى وأكملت هي. تذكرت ما قاله عن عدم وجود الاحساس بصوتها وأضفت كل المشاعر المطلوبة وبعمق داخل اللحن الذي كانت تغنيه معطية صوتها الصفاء والروعة الكاملة.

أوقفها بنصف اللحن وسجل شيء ما على دفتر ملاحظاته ثم سألها.

«لمن تغنين هذا اللحن؟».

«ماذا لـ.. لك» ردت وهي تشعر بالدهشة.

«كلا، كلا! انت على المنصة. في الفصل الأول. لقد دخلت منذ لحظات فقط. لمن تغنين؟».

«لـ.. للجمهور على ما أظن».

«يا الهي! وهي تعتقد انها ستصبح فنانة».

عضت ناتاشا على شفتها وأبعدت عنها رغبتها الغير معتادة للبكاء.

«لـ.. لرودلفو. للحبيب. أنا لم أفهم قصدك تماماً».

«هذا ما أراه. هل سبق لك وأن قرأت هذا المقطع من الاوبرا؟».

«أ.. أجل».

«حسناً، كما حزرت من المرة الثالثة انت تغنين هذا لرودلفو. انها محادثة عبر الاغنية مع الشاب الذي بدأ بتحريك عواطف قلبك الفتي. انت فتاة مريضة، تلهين ببراءة، لا تلبين الكثير من الدنيا ولست واثقة تماماً من

نفسك. هل تفهمين ذلك؟».

«أ.. أجل».

«اذن لماذا بحق السماء. اعتقدت انه من الضروري تفجير كل ثقتك وقوتك أمام الشاب المسكين بتلك الدرجة العالية من صوتك؟».

هي لا تعرف. هي تعرف فقط انها أرادت أن تظهر له أن عندها الكثير من الأحاسيس بصوتها وأن لها صوتاً قوياً ورائعاً لربما لم يسبق له وأن سمع بمثله من قبل. تمنت لو كان بمقدورها الشرح. لكنها استطاعت فقط أن تظل واقفة هناك ورأسها منحني وشفاهها ترتجف.

«لنحاول مجدداً».

«أ.. أعطني دقيقة فقط» قالت وهي تبتلع ريقها بصعوبة.

«ماذا تقصدين ـ بأعطني دقيقة فقط؟».

ظلت صامتة وفجأة رفع رأسه وقال بامتعاض: «آه بحق السماء! اذا كنت ستعملين معي فعليك تعلم عدم البكاء بسهولة هكذا. الدموع تصيبني بالملل وتجعلني عصبياً».

«آسفة».

ثم نهض من مكانه واقترب منها ولدهشتها الكاملة أمسك بيديها بين يديه.

«توقفي عن التصرف بحماقة. الدموع والغناء لا يتناسبان معاً. تعالي الى جانبي على البيانو» وممسكاً بيديها سار بها الى البيانو. وأخذ يعاود العزف بيد واحدة ويده الأخرى تمسك يدها بصلابة نطق بالكلمات جاعلاً اياها تدرك تماماً النقاط الواجب عليها التركيز عليها والفواصل حيث عليها تخفيف درجة صوتها لإعطاء المعنى المطلوب.

«انها نصف فرحة ونصف حزينة» أوضح: «لا شيء أبداً سيكون آمناً أو صلباً بالنسبة لها وهي تدرك ذلك بأعماق قلبها. لكن هذا ليس بالمأساة الكبرى. مجرد رقة ولطف. الآن حاولي مجدداً. وانظري الي وأنت تغني».

وقفت الى طرف البيانو وعيونها مثبتة عليه وعقلها يصارع لتطبيق كل ما قاله لها. ولأول مرة بحياتها ـ أخذت ناتاشا تفرغ نفسها من ناتاشا رايت لتتقمص كلياً شخصية دياندرا الفتاة التي تغني اللحن.

لم يكن من الممكن لها فعل ذلك باستمرارية وحين أبعدت نظرها للحظة عن ذلك الوجه الجميل المشع بعيون سوداء براقة جاءها صوته الهادىء والمسيطر.

«انظري الي» فأعادت نظرها اليه ولسبب غريب عاد السحر ليسيطر مجدداً. في النهاية لم يخبرها ما اذا كان أداؤها جيداً أم سيئاً بل اكتفى بأن يقول ببساطة: «متى بإمكانك ترتيب استقرارك في مدريد لنبدأ بالدروس الجدية؟».

«تقـ.. تقصد أنك سوف.. سوف تدربني؟» سألته بتلعثم.

«بالطبع. أنت لا تعتقدين أنني قد ضيعت كل هذا الوقت عليك لو لم أكن ناوياً على تدريبك الست كذلك؟» قال وبدا مندهشاً لسؤالها.

«أستطيع الاستقرار بمدريد باللحظة التي تحددها» سارعت للقول وكلها خوف من أن يسلبها ترددها من هذه الفرصة الغير معقولة: «أنت من يحدد الموعد».

يبدو أنه كان يتوقع ردها هذا فقد اكتفى بهز رأسه وأخذ يقدم المقترحات والخيارات. ثم بعد أكثر من نصف ساعة من التدابير والمكالمات الهاتفية تم الاتفاق على الموعد.

«يوم الاثنين المقبل بنفس الوقت وبنفس هذا المكان» قال ثم وهي تستعد للمغادرة قال بصوت عادي جداً: «عندك صوت قصائدي رائع. لم يكن بإمكاني السماح لهم بإعطائه تلك الجائزة بمسابقة التلفزيون تلك. كانوا ليفسدوا مستقبلك لسنة أو أكثر. وكما سيحصل، فحالما انتهي منك، قد تصبحين شيئاً ما. تذكري.. هنا بنفس المكان الاثنين القادم».

كلماته ونبرته أعلنتا الانصراف السريع لكن ناتاشا كانت مصدومة بما قاله ووجدت الشجاعة داخلها للانتظار والقول: «ما الذي تقصده تماماً بذلك؟ هل جعلت باقي أعضاء اللجنة يحرموني من الجائزة لأنك وجدت صوتي جيداً جداً؟».

«كلا. أنا لم أظن صوتك جيداً بتاتاً. لكني أدركت أن عندك حنجرة وأوتار صوتية جيدة، طالما أن أحداً لم يفسد هذه الأوتار. لهذه النقطة بالذات، الشكر يعود الى معلمتك. وأنا لم أكن مستعداً لأشارك بتخريب

صوتك هذا. هذا كل شيء».

«لكن.. الألفي بيزوس أولئك كانا سيساعدنني على متابعة التمرين والتدريب! لهذا أردت المال».

«آه، كلا. حين تجدين العروض السهلة تنهال عليك كنت لتتقبلينها وتضعين جانباً مسألة متابعتك للتمرن. كنت لترهقي صوتك بظرف سنة أو اثنتان بدلاً من تطويره. كنت ستعيشين على رأس مال صوتك كما يفعل المئات ـ لا بل الآلاف ـ بهذا العصر. وكان هذا ليسبب الدمار لخامة صوتك وما كنت لتتمكني من السيطرة على أوتارك بعد أن تكوني قد أرهقتها وأفسدتها بتلك الطريقة».

«لكن ما الذي أكد لك أنني كنت سأفعل ذلك؟ أنت تفترض مسبقاً أنني مجرد حمقاء..».

«بالطبع. هناك المئات من الحمقى والذين يتغلب عددهم على العقلاء بهذا العالم وليس عندي أي سبب يجعلني أعتقد أنك ضمن الأقلية».

ابتلعت هذه بصعوبة لكنها كانت مصممة على توضيح نقطة مهمة أخرى فقالت: «ما كنت تعرف أيضاً أن ممولاً.. ممولاً ما كان سيتقدم ويعرض عليّ فرصة التدريب هذه صحيح؟ ماذا لو لم يحدث شيئاً من هذا؟ ماذا لو كنت تركت مع خامة صوتي دون أن يمسها أحد لكن بدون أية فرصة لتمرينها وتطويرها بالطريقة المناسبة؟».

«كنت ستجدين طريقة ما اذا ما كان تصميمك حقيقي. الفنان الذي لا يتغلب على الصعوبات لن يعرف الكثير من النجاح، تذكري هذا. لأن الطريق أمامك لن تكون سهلة. أعدك بذلك».

تذكرت هذا، تذكرته طوال طريق عدوتها الى المنزل. وتذكرت بالذات نبرته المتمتعة بقسوة وهو ينطق بالكلمات كأنه يجد لذة بالعذاب الذي ستتعرض له للوصول الى النجاح عبر الطريق الصعب.

لكن لم يكن هذا كل ما تذكرته باليوم التاريخي ذلك، بل تذكرت كل ما حدث لها بتلك الغرفة. الترتيبات قد تمت كلها وبسهولة مدهشة نظراً لأنه هو خوليو روتسو من يقوم بها. اتصال واحد وتأمنت لها الاقامة بسكن خاص للطالبات في المدينة. وحتى بالليلة الأولى رتب لها جدول دراستها

الكامل بدقة جعلت عيونها العسلية تتوسع بدهشة.

لدروس الغناء ستكون راندا بيور مدرستها، وهذا ما فرحت ناتاشا له، فالمرأة كانت بالغة الجدية والاهتمام أثناء المباراة.

للغات «اللغة اللاتينية جيدة لكن الانكليزية ضعيفة وأظن لغتك الفرنسية والألمانية أسوأ من الانكليزية» كان عليها الذهاب الى مدرسة للغات. أما بالنسبة لتدريبها الأوبرالي فعليها الحضور مرتين كل أسبوع الى منزله.

«اذا كنت مسافراً أو مشغولاً بحفلة وسنغير الترتيبات حينها مسبقاً. لكن الشيء البالغ الأهمية والواجب عليك ادراكه بعمق هو أنك ستعملين بجهد وجد لم يسبق له أن اختبرته من قبل ربما. أنا لا أهتم بالهواة وبالنسبة لي الكسل هو الخطيئة العظمى. احفظي هذا جيداً خلال الأشهر القادمة وقد نسير معاً على ما يرام».

لقد انتبهت الى تلك الـ «قد». لكن كانت ستوافق على كل ما يقوله حتى لو طلب منها العودة الى لشبونة سيراً على الأقدام.

لقد أعجبت به ليس بدرجة مختلفة عن اعجابها السابق وكانت تخافه بدرجة كبيرة. لكنها كانت تحت سحره. ذلك السحر الذي علق عليه أحد النقاد يوماً بكونه القوة الدافعة التي تدفع الفنان من الدرجة المنخفضة الى الدرجة العليا الأسمى. وتساءلت ناتاشا عن الدرجة التي يضعها عليها خوليو روتسو! بالدرجات المنخفضة جداً بالطبع! لكن خوفها هذا منه هو الذي سيشحن تصميمها وسيدفعها لتحاول المستحيل لتثبت له أنها ستقوم بكل ما سيطلبه منها. نقده قد يكون قاسياً وجارحاً لكن الشيء الغريب كان أن كلمة المديح اليتيمة التي ينطق بها كانت أكثر من رائعة وأكثر من ساحرة وهو بالطبع نادراً ما يتفوه بها.

حين وصلت أخيراً الى المنزل لتواجه ايفان المتفجر شوقاً واثارة ووالدتها القلقة لمعرفة تفاصيل كل ما حدث لها. واكتشفت ناتاشا وهي تشرح لهما ما حدث مدى تأثير خوليو روتسو الهائل عليها. كان من السهل عليها شرح كل ما يتعلق بالترتيبات والاجراءات الخاصة بإقامتها ودروسها. لكن حين وصلت الى التحدث عن أدائها أمامه اندهشت والدتها حين عرفت أنها كانت على وشك البكاء.

«آه، هذا لم يعد هاماً الآن أمي. وقد ساعد ذلك نوعاً ما.. بتقليص التوتر والاضطراب الذي كنت أشعر به. على كل حال لقد كان هو اسفاً قليلاً، على ما أظن.. ثم شرح لي بالضبط ما يقصده. انه بغيض بالعديد من الأمور بالطبع، لكنه عبقري. أنا أتقبل ذلك الآن، عنده مقدرة على تحريك الالهام بقوة سواء أكنت معجبة به أم لا. لم يسبق لي مطلقاً أن قابلت رجلاً مثله حقاً».

نظرت والدتها اليها بشك وببعض القلق وقالت بتقطيب: «أنا لا أقول انني راضية تماماً عن فكرة وجودك تحت سلطته الكاملة.. هو لا يبدو رجلاً لطيفاً بالنسبة لي».

«آه انه ليس كذلك مطلقاً» وافقتها ناتاشا بضحك: «انه بغيض وفظ أجل لكن.. هو يجعلني أغني بطريقة لم أفعلها من قبل أبداً. لقد شعرت وكأني فعلاً دياندرا بتلك الدقائق الثمينة».

«لا بأس، يبدو أنه على الأقل عبقري متمرس. تقولين أنه قد تدبر لك أمر السكن والدروس واللغات.. حتى تتمكني من بدء التدريب الاثنين المقبل؟ هذا تسرّع كبير. أنا مندهش من قولك له أنك ستكونين جاهزة بأي وقت يحدده».

«حقاً؟» سألته ناتاشا وهي تبتسم وكأنها تذكرت أمر يحيرها: «وأنا أشعر بالدهشة من ذلك الآن. لكن بذلك الوقت لم يخطر ببالي أي شيء سوى موافقتي على كل ما يقترحه».

بالرغم من أن أسبوعها كان حافلاً بالمنزل الا أنها زارت معلمتها الآنسة بيرتا وأطلعتها على ما حدث وأخبرتها عن تعليق خوليو روتسو حول فضلها بالمحافظة على خامة صوت ناتاشا.

انفرجت أسارير الآنسة بيرتا بإشراق وقالت بنبؤة: «ستصلين ناتاشا. ستصلين الى القمة. بموهبتك الصوتية وبإرشادات خوليو روتسو من المستحيل أن تفشلي. أيتها الفتاة المحظوظة».

عرفت ناتاشا أنها كانت محظوظة.. لكن ليس لنفس الأسباب التي قالتها الآنسة بيرتا. وبطريق عودتها الى منزلها التقت وصدفة بمنبع حظها هذا المتمثل برون بلوكيو الذي خرج من أحد المنازل واتجه الى سيارته دون أن

ينتبه لها.

«سيد بلوكيو!» نادته ناتاشا وركضت نحوه.

التفت هو على الصوت وابتسم بابتهاج وأشرق وجهه الوسيم لرؤيتها.

«آه، أهلاً» قال ومد لها يداه وصافحها بحرارة وعيونها متعلقة به وأنفاسها لاهثة.

«سيد بلوكيو أنا مسرورة جداً لرؤيتك! سأذهب الى مدريد الاثنين المقبل و..».

«اذن فقد نجح الأمر» قال ثم بدا عليه الارتباك الواضح.

شعر دون شك أنه قد فضح الأمر وأفضل ما عليها أن تفعله فكرت ناتاشا أن تتجاهل تعليقه هذا وتتجاهل ادراكها للسر الذي شكت به منذ البداية.

«أردت اخبارك أنت بالذات على هذا. لأنك كنت بالغ الرقة والطيبة مع والدي وكنت بالغ الرقة والتفهم مع خيبة أملي بعد مباراة التلفزيون. لقد حدث شيء غير معقول! شخص ما.. لا أعرف من هو بعد، يبدو أنه أحد أعضاء لجنة الحكم.. قد قرر كما يبدو أنني أستحق التمرين والتدريب وقد استُدعيت الى مدريد وتقابلت مع خوليو روتسو تصور، هو من بين كل موسيقيي العالم. وسيهتم هو نفسه بتمريني وتدريبي و..».

توقفت لتلتقط أنفاسها وضحكت ووجدت أنه لا يزال يمسك بيديها بين يديه.

«اليس هذا رائعاً؟» صاحت وعيونها تشع.

«رائع» وافقها وهو ينظر اليها وكأن اشراقها وفرحها وحماسها هو الشيء الرائع حقاً بالنسبة له: «لكني لست مندهشاً لهذا. على شخص ما أن يميز جمال صوتك والقيام بشيء ما لأجله بالتالي. ما هي درجة تقديرك لخوليو روتسو الآن اذن؟» وابتسم لها.

«أنا لا أستطيع أن أحبه. لن أفعل أبداً. لكني أظن أن هذا أمراً ثانوياً. لكن الحقيقة تبقى كونه أكثر المخلوقات الهاماً بشكل عجيب وغامض وحتى ولو شعرت برغبتك العميقة بصفعه على وجهه الوسيم المتكبر ذاك فإنك ستوافق بجنون على القيام بما يطلبه منك بالضبط. أيبدو هذا جنوناً؟».

«بالطبع. لكنها الحقيقة، حتى بيروني العظيم قال عنه: «كان بإمكاني

قتله. . ألا انني كنت لأصبح نصف فنان فقط لولاه وكنت لأكون أكثر الناس تعاسة وحزناً بجنازته».

«هو قال هذا؟ يا له من مغني عظيم، وهو لا يزال يشعر بفضل روتسو عليه ويعترف بسلطته الطاغية. بدأت أعتقد أن الآنسة بيرنا على حق، وانني محظوظة وبشكل لا يوصف لتمكني من مجرد لفت نظره الى وجودي».

«صدقيني، ما كنت لتكوني بأيادي أفضل من أياديه» أكد لها رون بصدق وفكرت هي أن هذه طريقته لتبرير خياره هذا.

«أنا واثقة أنك على حق. وحتى يوم مماتي سأظل ممتنة للشخص الذي وفر لي هذه الفرصة المستحيلة».

«أيتها الفتاة العزيزة القيّمة! أتمنى لك كل الحظ في مدريد. ليباركك الله، أتمنى أن أراك هناك حين أزور مدريد».

«آه بالطبع. هل تزور مدريد دوماً؟».

«كل ثلاثة أو أربعة أسابيع» طمأنها ثم رحل وتابعت هي طريقها نحو منزلها وقلبها ينبض بحرارة لأنه سيكون لرون بلوكيو مكاناً بحياتها الجديدة.

أخذت تنظر الى كل شيء حولها بوداع فحين تعود الى البلدة مجدداً هي لن تكون بالطبع ناتاشا نفسها. ستكون قد اكتسبت المزيد من الخبرة المزيد من التجارب والنضج.

ودعت والدها وابتسمت للفخر الذي برق داخل عيونه بيوم سفرها وعانقت ايفان بشوق وحب قبل أن يقبلها ويتمنى لها التوفيق ويذهب الى مدرسته.

جاء دور والدتها التي عانقتها بقوة وقالت ناتاشا بصدق: «كنت أتمنى لو أنني لم أكن مضطرة لتركك بهذا الظرف العصيب. لكن الحمد لله صحة والدي تتحسن. وأنا أبعد بالطبع بضعة ساعات عن البلدة فقط. بإمكاني العودة فوراً عند أول اشارة. . اذا ما شعرت أنّ هناك حاجة لذلك».

قبلتها والدتها وقالت بابتسام: «لا تقلقي. أنا لن أستدعيك من العمل الهام جداً بحياتك فعلاً. أعتقد أن خوليو روتسو خاصتك لن يعتبر الارتباطات العائلية قدر اهتمامه بالارتباطات المهنية».

«انه بالطبع ليس كالكلمة الأخيرة» أعلنت ناتاشا وغادرت بهذا التحدي بلدتها الهادئة إلى عاصمة الفن مدريد.

بالرغم من تعليقها على كلمات والدتها ألا انها أدركت وهي بطريقها الى منزل روتسو أنها قد ارتبطت فعلاً معه برباط مهني لا تعرف مداه. لراحتها لم يكن خوليو روتسو بمفرده هذه المرة فقد كانت راندا بيور تجلس معه داخل الستوديو. حيتها المرأة الأكبر سناً بمودة ولكن بشكل رسمي.

«أنا مسرورة لأننا سنعمل معاً. لقد عرفت أن صوتك كان جميلاً حين سمعتك في المرة الأولى. بظروف أخرى كنت لأصر على تقديم الجائزة النقدية لك. لكن. . هناك بعض الاعتبارات الأخرى».

«فهمت» أخبرتها ناتاشا بهدوء ورمت خوليو روتسو بنظرة سريعة لم تندهش لرؤيتها له يبتسم بطريقته الخفيفة والمتكبرة المعتادة. يبدو بالغ السعادة لحرمانها من الألفي بيزوس لأنه حكم عليها بكونها حمقاء وتافهة ستبذر المبلغ بطريقة خاطئة!.

أخذت راندا بيور تشرح لها تفاصيل دراستها معها وكانت تنتقل للعزف على البيانو أحياناً لتشرح لها النقاط التي تتحدث عنها. وكان خوليو روتسو يتدخل أحياناً بهذا الحديث معلقاً بشكل طبيعي على نقطة أو أخرى.

«يجب ألا تتوقع المعجزات بهذه المرحلة الابتدائية سيد روتسو» أعلمته راندا بابتسام.

لكنه أبعد ذلك قائلاً: «من السهل الحصول على الدرجة المتوسطة، المعجزة هي أقل ما يمكن للمرء أن يتطلع اليه. لقد أخبرتها أن أمامها طريق شاق وصعب. لا تعطيها أية أوهام مريحة».

«حتى لو فعلت فإنك لن تجد صعوبة بإزالتها» ردت راندا بمرح.

«لا بأس. عندها توجه غير هاوي أساسي بهذه المرحلة» قال متحدثاً عن ناتاشا وكأنها تمثال حجري أو كأنها صماء لا تسمع: «هذا ما عليك تصحيحه أولاً».

«سنبذل قصارى جهدنا» ردت راندا وهي تبتسم لناتاشا وثم نهضت وتابعت: «يجب أن أذهب الآن. هل أوصلك الى الأسفل؟».

«أجل. هذا لطف منك و. .» قالت ناتاشا بسرعة وهي تنهض بشوة،

لفرصة لتحسين معرفتها براندا.

«لست حرَّة الآن» قاطعها خوليو روتسو بجفاف: «كان هذا فقط النقاش الابتدائي. عندك درس اليوم حتى لو كنت قد نسيت ذلك».

«باليوم الأول مباشرة.. وهي قد وصلت للتو من المحطة؟» علقت راندا بدهشة.

«بيومها الأول مباشرة.. وبوصولها للتو من المحطة. اذا ما كان عليها التعويض عن الفجوات الناقصة والمتعددة بمعرفتها الموسيقية فعليها البدء على الفور».

«لا بأس. سأراك غداً اذن في العاشرة تماماً. أنا على مسافة قصيرة من مكان سكنك وأي من الطلاب سيدلك على المكان».

غادرت راندا وشعرت ناتاشا وكأنها قد هجرت.

«والآن سنبدأ العمل. الأسبوع الماضي اكتفينا فقط بالتسلية» أعلن خوليو روتسو.

لم تكن هذه الصفة التي ستطلقها ناتاشا على الأمسية لكنها فهمت ما يقصده حالاً.

على الأقل فهمت ما يقصده بالعمل فحين أخذت تسمع تعليقاته وأوامره المختصرة القاسية وجدت من الصعوبة بمكان المتابعة خاصة حين وجدت نفسها محصورة في بداية صعبة.

في النهاية سألها بنبرته النافذة الصبر الخطرة: «أفترض أنك دون شك تعرفين قراءة النوتة الموسيقية؟».

«أ.. أجل بالطبع».

«لا بأس، اقرئيها اذن!» صاح ضارباً بقبضته على الأصابع الموسيقية للبيانو مما جعلها تقفز فجأة: «اذا لم تستطيعي الانتباه لأبسط التعليمات..».

«انها ليست تعليمات بسيطة. أنت لست جيداً بإعطاء الشروحات اذا لم تكن تعرف ذلك فاعرفه. أنت تفترض أنني أعرف كل الأشياء التي لم يسبق لي أن رأيتها من قبل، وأنت لا تزعج نفسك بتوضيح ما تريد».

صمت مميت سيطر على المكان بعد كلماتها المتفجرة هذه ثم قال هو

بصوت شبه لطيف: «تقصدين القول أنني الشخص الذي ينقصه الذكاء؟».

«لـ.. ليس هذا.. كلا. لكنك.. لكنك..».

«تابعي. أنا أتحرق بالفضول» وانحنى ليسجل شيئاً ما على دفتره.

أدركت فجأة أن هذه كانت حيلة يتبعها حين يرغب بإثارة أعصاب شخص ما. ولغبائها وجدت نفسها تقول: «هل عليك فعلاً أن تعرف ما أريد قوله؟ لأنه اذا كان هذا قصدك فسيكون من أصول الأدب أكثر أن تنظر اليّ».

«لست رجلاً مؤدباً» رد ببرود.

«أنا.. أنا لم أقصد أن أكون فظة معك..» ابتلعت ريقها بعصبية: «لكنك أخفتني و..».

«نسبة لشخص خائف فأنت تبلين حسناً. هذه هي المرة الأولى التي يعلق بها شخص ما على طريقة تدريسي. لكن تابعي».

«أنا.. أنا فقط أحاول القول أن كل ما تقوله لي هو شيء جديد تماماً عليّ. لا أستطيع استيعاب كل هذا بسرعة. لا فائدة من ذلك اذا لم أفهم منذ البداية. لو فقط تكون أكثر صبراً..».

«هلا حاولنا مجدداً؟» قال بهدوء ولم تكن متأكدة من أن نبرته مطمأنة أم خبيثة.

تابعا مجدداً وبنغمة الآهية تمكنت من تنفيذ ما يطلبه منها بالضبط. ولم تحظى بعبارة مدح منه. بل قال فقط: «لماذا لم تتمكني من فعل ذلك قبلاً؟» لكن هذا أوصلها على الأقل بسلام الى نهاية الدرس.

ثم وهي تتناول قبعتها استعداداً للخروج استفسر: «هل سبق لك وحضرت أوبرا؟».

«آه، أجل ثلاث مرات. لكن فقط حين وصلت فرقة متنقلة الى برشلونة».

«وماذا سمعت؟» سألها بفضول.

«تانهاوزر، فلدرماوس وفوزيك».

ضحك لهذا ضحك بقوة لدرجة أثارت دهشتها ووجدت أنه لم يسبق لها وأن سمعت هكذا ضحكة جذابة حيوية وخطيرة وعيونه تبرق كالشيطان.

ابتسمت مع أنها تشعر بالحيرة. ثم سألت أخيراً: «هل هذا مضحك لهذه

الدرجة؟».

«بالتأكيد كذلك. انه أكثر مزيج مضحك سمعته بحياتي وهذا تعليق مضحك جداً من قبل مبتدأة بفن الأوبرا. ماذا فعلت لدى سماعك لفوزيك؟».

«القليل» قالت بصراحة.

«هذا ما توقعته. اذن لم يسبق لك أن سمعت أوبرا فيردي على المسرح؟».

هزت رأسها بالنفي.

«يا للروعة. يا لروعة الشعور بحضور فيردي للمرة الأولى. من الأفضل لك مرافقتي اذن هذا المساء. انهم يقدمون عطيل في الكوفنت».

«أرافقك؟ الى الأوبرا.. تقصد؟» قالت دون أن تستطيع أن تصدق ما تسمعه..

«أجل بالطبع. هل تعتقدين أنك ستكونين قادرة على الوصول الى هناك بمفردك أم عليّ المرور لاصطحابك؟».

«اه لا! أظن أن بإمكاني تدبير أمري بمفردي» قالت وهي ترتعش من الاثارة: «بالواقع، أجل بالطبع أستطيع» قالت بسرعة حتى لا يعتبرها عاجزة أو غير عصرية.

«اذن لاقيني في القاعة في السابعة والنصف».

«هل ستكون أنت المايسترو؟» سألته بلهف.

«كلا. بالطبع. ما الذي تعتقدينني سأكون فاعله بوجودي في القاعة في السابعة والنصف؟ لورنت هو المايسترو. انه ليس بمثل بداعتي، لكنه جيد» قال ذلك وكأن هذه حقيقة واضحة: «السابعة والنصف. لا تتأخري».

«آه، كلا لن أفعل. ماذا أرتدي؟».

«ترتدين؟ من سيأبه لما ترتديه؟» سأل باحتقار.

«كلا.. أقصد ثوب سهرة؟ لأنني لا أملك ثوباً حقيقياً واعتقدت أنه لربما..».

«ارتدي ما ترغبين به. لن ينظر اليك أي شخص» قال لها بعدم اكتراث.

وصلت الى الطابق السفلي والدهشة لا تزال تكتنفها وسمحت للبواب أن

يطلب لها تاكسي. هي لم تكن معتادة على هذه المصروفات الزائدة لكن حقائبها وأمتعتها كانت تضطرها للوصول الى سكن الطالبات، الذي تجهل موقعه تماماً.. بالسيارة.

أعطت السائق العنوان وتشاغلت بالنظر الى المناظر البديعة والساحرة في الخارج. لكن أكثر من نصف تفكيرها كان لا يزال مشغولاً بالذي حدث قبل دقائق قليلة.

مجدداً كان هناك ذلك المزيج الغريب من الاثارة القصوى والخوف وهي لا تزال تشعر حتى الآن بالصدمة والمتعة لوقوفها الجريء بوجه خوليو روتسو والرد عليه بتلك الطريقة الجريئة.

هي لا تفكر أنها أساءت لتقديره لها بتصرفها ذلك. فعلى الأقل ذاك لم يمنعه من دعوتها لحضور أوبرا عطيل معه لهذا المساء.

وصلت بعد مسافة قصيرة الى بناء كبير وجميل المنظر بحديقة غنّاء حوله وأدركت أن هذا سيصبح منزلها لشهور مقبلة.

استقبلتها صاحبة المنزل السيدة ايزابيلا. كانت السيدة متوسطة القامة، لطيفة الوجه وأنيقة الملبس. فكرت ناتاشا أن السيدة كانت مغنية ما بشبابها. وصدق ظنها فعلاً حين أخبرتها السيدة وهي تدلها الى غرفتها أنها كذلك فعلاً.

«لكني لم أتخطى كوني مساعدة بديلة في الكوفنت. لكن بالعروض المتنقلة كنت الأولى وكان لي العديد من المعجبين. زرنا عشرات الأماكن وتجولنا بكل مناطق اسبانيا. لكن للأسف تلك الأيام قد ولت الآن لا أحد يهتم الا بموسيقى الراب والروك».

أبدت ناتاشا اهتماماً حقيقياً بعمل السيدة ايزابيلا السابق ومنحها ذلك بالطبع رضى صاحبة المنزل.

«سأعتني بك جيداً يا عزيزتي. لقد أخبرتني الآنسة بيور أنك من ضواحي برشلونة وأنك بحاجة لبعض الارشاد، لكنك ستعتادين فوراً على كل شيء هنا. هناك تلميذات غيرك في المنزل. اثنان «وتريات» واحدة «نفخ» وثلاثة «صوتيات». لن تشعري والحالة هكذا بالغربة».

«لن أشعر بذلك مطلقاً دون شك. الغرفة رائعة فعلاً» ردت ناتاشا بمودة.

www.rewity.com RAHEEM

«حسناً، انها كالمنزل، والطعام جيد أيضاً، وكذلك الأثاث الله يعلم أنني أدرك تماماً أهمية وجود المنزل الدافيء والطعام الجيد والفراش الوثير بعد عودتك من العروض الغنائية المرهقة والتعب قد أخذ منك كل مأخذ، لا بأس ارتاحي الآن ورتبي أغراضك داخل الخزانة ثم انزلي الى الطابق السفلي حين تسمعين صوت الجرس. سنتناول العشاء في الخامسة والنصف هذا اليوم وبشكل استثنائي لأن أربعة من الفتيات سيذهبن لحضور الأوبرا الليلة، انهم يعرضون «عطيل» لشكسبير».

«أعرف. أنا أيضاً سأحضرها» شرحت ناتاشا والسعادة تغمرها.

«ستذهبين الى الكوفنت؟» رددت السيدة ايزابيلا بدهشة: «لكن تملكين تذكرة؟ ليس من الجيد الذهاب وتوقع ايجاد تذاكر اضافية على الباب، تعرفين أن «عطيل» أوبرا معروفة جداً ومطلوبة جداً».

«أجل، معي تذكرة. على الأقل.. صـ.. صديق سيأخذني معه اليها».

فقد بدا فجأة أنه من التبجح والمباهاة الاعتراف أن خوليو روتسو بنفسه سيصطحبها.

«لا بأس، أنت فتاة محظوظة. كان هناك طلب هائل على التذاكر. لكن حدث ذلك لأن الجميع اعتقد أن روتسو هو من سيكون المايسترو، الآن هو لن يفعل ذلك الا بوقت لاحق من هذا الفصل. لكن الرجل الآخر جيد بدوره».

«هذا ما قيل لي» تمتمت ناتاشا.

«هذه ليست بداية سيئة لأول ليلة لك في مدريد! أن تذهبي الى الكوفنت! انها بداية ليست سيئة أبداً».

«هذا ما فكرت به بدوري. هناك فقط عقدة واحدة. أنا.. أنا أعتقد أنه سيجلس في مقعد جيد. هل تعتبر مشكلة كوني لا أملك ثوب سهرة مناسب؟» سألت ناتاشا.

«ليس اذا ما كنت ستجلسين في احدى المقصورات، وحتى بتلك الحالة لن يكون الثوب مشكلة الا اذا كنت تحضرين الأوبرا في ليلة الافتتاح الأولى».

أخبرتها السيدة ايزابيلا: «حسناً، سأتركك الآن لترتيب أغراضك».

وبابتسامة لطيفة غادرت الغرفة.

فكت ناتاشا الحقائب ورتبت كل شيء بمكانه بسرعة وتناولت الثوب القرميدي الوحيد الذي تملك من مكانه وارتدته بسرعة ثم سرّحت شعرها جيداً ونظرت الى نفسها بالمرآة. الثوب كان رائعاً ويلقي بظلال جذابة على بشرتها وعيونها، انه بالطبع لا يبدو فرنسي الأناقة لكنه جميل ومناسب لها.

كتبت رسالة قصيرة لوالدتها تخبرها بها أن كل شيء يسير على أفضل ما يرام وحين سمعت صوت الجرس تركت الغرفة ونزلت الى الطابق السفلي.

الكل كان متحلقاً حول طاولة الطعام وشعرت ناتاشا بالخجل والارتباك فسارعت السيدة ايزابيلا للوصول اليها ومرافقتها الى داخل الغرفة حيث قامت بالتقديم السريع والودي.

واكتشفت ناتاشا حينها أن «الوتريات» من كاندي وفلورا. فتاتان شقراوات تتعلمن العزف على العود. أما «النفخ» فكانت فتاة سمراء تدعى برسيلا تتعلم العزف على البوق. وبالنهاية «الصوتيات» كن فتاة فرنسية تدعى ايفا رقيقة الملامح وأخرى اسبانية تدعى ماريانا بشعر أسود قصير وعيون خضراء واسعة أما الثالثة فقد عرّفت عن نفسها فوراً بالقول: «تعالي واجلسي قربي ناتاشا برايت وأخبريني كل شيء عنك. اسمي لوليتا فاردو وأنا لا أعتبر كتلميذة محترفة في الغناء كالباقيات. أنا فقط أحب الغناء. يبدو كلامي بلا طموح أعرف، فيما الجميع يصارع للوصول الى قمة شجرة الأوبرا. لكني أظن أن هذه هي طبيعتي وحقيقتي».

ابتسمت ناتاشا لها وقالت: «وأنا أظن أنني أحب طبيعتك وحقيقتك».

ضحكت لوليتا قائلة: «على الأقل هذا يوفر عليّ الشعور بالغيرة المهنية. تقول ايزابيلا أنك ستذهبين الى دار الكوفنت الليلة ولكنك ستجلسين بالمقاعد الأمامية. جميعنا سيجلس في الصف الأخير في «البلكون» أتعرفين، كيف حدث وأن وجدت مقعداً أمامياً أيتها المحظوظة الجميلة؟».

«أنا.. أنا مدعوة» اعترفت ناتاشا.

«اذن فهي تملك صديقاً ثرياً» همست لوليتا للجميع بصوت مرتفع ومرح: «يا للروعة! أو عندك ربما شخصاً مهماً.. قد يكون أكثر افادة لك اذا ما كان واسطة مناسبة. ما اسمه؟».

أخذت ناتاشا نفساً عميقاً وأدركت أن عليها قول الحقيقة حتى لا تقع بالمزيد من التورطات.

«انه ليس صديقي. أنا.. أنا في الواقع تلميذة لدى خوليو روتسو وهو من سيصطحبني الى الكوفنت».

ساد الصمت الكامل بعد نطقها بالاسم السحري وحدق الجميع بها بعدم تصديق، ثم قالت ايفا: «أنت ستذهبين الى الأوبرا برفقة خوليو روتسو؟ ما هو شعورك لذلك بحق السماء؟».

«شمبانيا وعلقم مر» ردت ناتاشا ببساطة وصدق.

صرخت باقي الفتيات وربتت لوليتا على ظهرها وقالت: «آه، نحن سنحبك بالطبع ناتاشا. بماذا يمكننا أن نساهم بهذه المناسبة؟ هل أستطيع أن أعيرك شيئاً ما؟ حقيبة مسائية أو معطف.. عندي معطف بني رائع.. أو قد نوصلك الى هناك على حسابنا؟ أقصد.. يجب أن نجعله جهداً تعاونياً وثقي أنك ستجعلينا فخورين جداً بذلك. خوليو روتسو! هل تمانعين لو لمستك!؟» ولامست ناتاشا بلكزة قوية.

ضحكت ناتاشا وقالت: «من اللطف الكبير منكن أن تكونوا مهتمات هكذا. أنا بالطبع أشعر بالاثارة الهائلة. فللحقيقة، هذه هي المرة الأولى التي أذهب بها الى دار كوفنت و..».

«المرة الأولى. وستذهب مع خوليو روتسو الشهير بنفسه، آه أرجوك استعملي شالي البني! سأحب أن أفكر به قد وضع قرب الرجل العظيم، حتى لو لم أكن أنا من يرتديه. وسيناسب ثوبك القرميدي هذا تماماً».

وقبل أن تجيب ناتاشا سألت فلورا بفضول: «هل تعرفينه جيداً؟».

«أجل أخبرينا كيف هو شكله؟» توسلتها كاندي: «جميعنا يعرف أنه جذاب لدرجة هائلة بالطبع، بإمكان المرء رؤية ذلك حتى من «البلكون» لكنهم يقولون أنه شيطان أيضاً. هل هو كذلك؟».

فتحت ناتاشا فمها لتخبرهم رأيها الصريح بخوليو روتسو لكن التعقل منعها من ذلك وفضلت الاحتفاظ برأيها الشخصي لنفسها فقالت بهدوء وبطء: «أنا لا أعرفه شخصياً حقاً، الـ.. الصديق الذي يدفع تكاليف تمرني على الغناء قرر أن يكون خوليو روتسو هو مدربي ولهذا فقد أرسلت

لأكون تلميذته. هو قبل بي، يسرني أن أقول.ذلك. لكن فيما يتعلق بمعرفتي به.. فأنا قد قابلته فقط لمرتين.. لا بل ثلاث مرات في الحقيقة».

«أقول أن عندك النوع الصحيح من الأصدقاء صحيح؟ أتمنى لو كان عندي صديق يفكر أنه من المناسب لي ارسالي للتمرن على يدي خوليو روتسو الشهير».

«لن يفيدك ذلك حتى لو حصل» قالت كاندي بثقة مرحة: «فسيتم رفضك على الفور. روتسو لا يستقبل فقط الأشخاص الموهوبين الراغبين بالغناء. أنا لم أسمع من قبل أبداً أنه قد استقبل أي شخص. لا شك أنك مميزة جداً ناتاشا».

«هل أنت مميزة جداً؟» سألتها لوليتا.

«لا أعرف. هو لا يعطيني هذا الانطباع. لكن أظن أن الوقت لا يزال مبكر له ليتوصل الى أي حكم بهذا الشأن».

«يقولون. أنه يستطيع سماع الصوت من الصف الأخير وسيدرك تماماً ما سيكون هذا الصوت عليه بعد التدريب المناسب والتطوير الخاص، وهم يقولون أيضاً أنه حين يأخذ على عاتقه صوت أي مغني فإنه يعلم تماماً ما سيفعله مع ذلك المغني لخمس سنوات قادمة».

«حقاً؟» سألت ناتاشا وهي تشعر ببعض الانزعاج لهذه الفكرة.

«هيا توقفوا عن الثرثرة الآن ولننطلق» قالت ماريانا وهي تنظر الى ساعتها ونهض الجميع.

«هل ستذهبين بتاكسي؟ أم تفضلين المجيء معنا؟» سألتها لوليتا.

«آه، سأذهب معكم بالطبع» ردت ناتاشا.

«نحن سنستقل المترو» أوضحت ماريانا.

«ليكن» ردت ناتاشا بابتسام.

«وسترتدين شالي» سارعت لوليتا للقول وقبل أن تفتح ناتاشا فمها ركضت لوليتا الى غرفتها وعادت بمعطف بني أنيق جداً.

«انه.. انه جميل جداً».

«انه لك الليلة.. لا تتفوهي بأية كلمة أخرى» أمرتها لوليتا برقة وضعت المعطف حول أكتافها وبدا ساحراً جداً ومناسباً لثوبها القرميدي وشعرت

ناتاشا أنها أصبحت مناسبة فعلاً لرفقة خوليو روتسو.

تقلبت بين النشوة والترقب وهي بطريقها الى الأوبرا. فالفتيات اللطيفات كنّ الآن معها يثرثرن ويضحكن لكن بعد قليل ستصبح وحدها في عالم غريب تماماً عليها. لن يكون هناك أي شخص قربها ليدعمها وليشق لها الطريق باستثناء الموسيقي المنتقد والبغيض. ومهما كانت هبات خوليو روتسو، الا أنه بالطبع لن يكون دعماً لها.

حالما غادروا محطة المترو أسرعت لوليتا اليها وأخذت بيدها لتدلها على أقسام الدار الخارجية وعلى كافة تفاصيلها.

«ذاك باب المنصة حيث ننتظر لساعات بعد العرض حتى نشاهد النجوم تغادر المسرح. وذاك هو المدخل الجانبي الذي ندخل منه. والآن سآخذك لتلقي نظرة على المكان من الداخل و.. لا تكوني مرتعبة هكذا، هيا ستتمتعين بوقتك. نصف الأشخاص الموجودين هنا سيبادلونك مكانك الليلة بكل كنوز الأرض فابتهجي».

وحين دلتها على المدخل الى المقصورات قرصتها قليلاً من ذراعها وودعتها قائلة: «تمتعي بوقتك».

الأضواء والحشود داخل قاعة الانتظار الخاصة برواد المقصورات أذهلت ناتاشا بالبداية وغمرها الذعر في حال عدم تمكنها من تمييز خوليو روتسو بين كل هذه الجموع. لكنها رأته.. مميز بشكل واضح ببذته السوداء الرسمية وقامته الطويلة وهو يتحدث الى رجل قصير القامة رمادي الشعر. اقتربت منه بخطوات تقصدت أن تكون واثقة ووقفت قرب مرفقه للحظة أو اثنين قبل أن يلاحظ وصولها.

«اه، أهلاً! وجدت طريقك بمفردك اذن؟».

«أجل، شكراً لك. لقد حضرت مع بعض الفتيات من السكن الداخلي. سيحضرون بدورهم الأوبرا وقد أوصلوني معهم بالمترو».

عرّف عن الرجل الآخر الآن: «ماكس فاغن المنتج» ثم أضاف مخاطباً المنتج: «هذه هي الفتاة التي كنت أحدثك عنها».

فوراً، بالطبع تأججت ناتاشا بالفضول لمعرفة ما كان يقوله عنها. لكن الرجل الآخر رد فوراً بالألمانية السريعة التي لم تستطع ناتاشا متابعتها. لكن

معلوماتها القليلة بالألمانية مكنتها أن تفهم مما قاله خوليو روتسو عبارات: «يوماً ما.. يوماً ما.. لا يزال الوقت مبكراً لمعرفة ذلك».

ثم قرع الجرس معلنا بدء الأوبرا وتفرق الجميع كل الى مقصورته.

«تعالي» قال خوليو روتسو ممسكاً بذراعها بخفة وسار بها الى احدى المقصورات.

حتى اللحظة التي لامس بها خوليو روتسو ذراعها كانت ناتاشا دوماً تقيّم جاذبيته بنظرته وابتسامته. لكن وفيما هي تشعر بأصابعه الطويلة القوية حول ذراعها وفوق القماش الحريري الرقيق لشال لوليتا، أدركت فجأة بتيار من المشاعر الغريبة يجتاحها بشكل مفاجيء وصاعق. شعرت باللون يلهب وجهها ثم يتلاشى.

لم يكن من شيء مألوف بلمسته وعدم الاهتمام الكامل بملامحه دلها أن الملامسة لم تعني له أي شيء مطلقاً. لكن بالنسبة لناتاشا كان هذا هو الاكتشاف الأغرب والأزعج والذي تشعر به لأول مرة بحياتها كلها. انه وبمجرد لمس هذا الرجل تشعر وكأن النيران قد تفجرت داخلها.

وهما بطريق توجههما الى المقصورة الخاصة كان الجميع يلتفت لينظر اليهما. كانت هذه، بالطبع التجربة الأولى لناتاشا بالسير قرب شخص بالغ الشهرة وأعطاها هذا شعوراً خيالياً رائعاً ونادراً بغرابته.

لم تكن متأكدة تماماً ما كان سبب شعورها هذا يعود الى لمسه لذراعها، أو انبهارها بما حولها أو بتجربة أن تكون مركز الاهتمام. لكن حين دخلت أخيراً مقصورة خوليو روتسو برفقته وتفتحت أمام ناظريها روعة أجمل دور الأوبرا في العالم همست لنفسها وله: «أنا لا أصدق هذا. لا أصدقه!».

«لا تصدقي ماذا؟» سألها.

«كل شيء. انه كالحلم.. الذي سيستيقظ المرء بعده. كشيء تخترعه بخيالك لكنك لا تتوقعه لن يتحقق أبداً. شـ.. شكراً لك بعمق لاحضارك لي الى هنا».

«لم يبدأ العرض بعد. اذا ما كان هذا الجانب من الستارة يذهلك لهذه الدرجة. فما الذي سيحدث لك حين تكونين من الجانب الآخر؟».

«الـ.. الجانب الآخر؟» حدقت به بذهول تام بعد أن انتزعت عيونها عن

الستارة المخملية الحمراء: «الجانب الآخر؟ قل لي الحقيقة.. هل، هل تعتقد حقاً أنني يوماً ما سأقف.. سأقف على الجانب الآخر؟».

«لا أعرف. الوقت وحده سيكون الحكم. لكن ما كنت لأهدر كل هذا الوقت والجهد عليك لو كنت لا أشعر بالامكانية الضئيلة بأن أجعل منك شيئاً ما».

«أنتَ تقول ـ أجعل منك ـ وكأنك تقصد.. تقصد أن تصبني في قالب آخر تريده أنت» قالت بتفكير.

«بالطبع. هذا بالضبط ما أقصد أن أفعله. لا أظن أنك ستنكسرين بالعملية هذه لأنك بالأساس قوية وصلبة. لكن اذا انكسرت فستكونين.. ستكونين..».

«انفاق دون فائدة؟» رددت ناتاشا بعقلها: «يا له من تعبير».

ثم لم تعد تفكر بنفسها ولا بخوليو روتسو لأن انتباهها كله توجه وبكلتيه الى المنصة في الأسفل ولوقت طويل لم تشعر الا بالقصة وبالرعب والشفقة التي تعبر عنها.

لم تكن تدرك أو حتى تشعر بعيون الرجل الجالس الى جانبها والتي كانت مركزة عليها على ضوء المسرح الخافت. فقط حين أسدلت الستارة على المشهد الأول قال خوليو روتسو بهدوء: «أجل، أظن أن فاغن كان على حق».

«ماذا؟» سألته بغموض وهي تستدير لتنظر اليه.

«أنت لم تفهم ما قاله ماكس فاغن عنك؟».

هزت رأسها بالنفي ومشاعرها كلها وعقلها كله لا يزال منشغلاً بروعة ما كانت تشاهده منذ لحظات.

«اذا كان صوتها يتلاءم مع مظهرها وأسلوبها، فهي دون شك تجسيد حي لديدمونة».

«هي..؟ يقصد أنا؟» فجأة استفاقت وانتبهت لما كان يقوله: «هو قصد ذلك.. انه بإمكاني يوماً ما أن أغني تلك الأوبرا الرائعة؟».

«كلا، هو لم يقصد شيئاً من هذا القبيل. هو قصد فقط أنك تبدين مناسبة للدور. وهذا هو حال معظم الشقراوات الغير عصريات القلائل فقط، على

كل حال، يتعلمون غناء الدور».

«لكنك قلت للتو.. قلت أنه قد يكون على حق. ماذا قصدت بذلك؟».

«قصدت أنك تجاوبت ببعض الذكاء وكأنه عندك الأحاسيس للمشهد الذي مرّ. في النهاية لاحظت أنك قد بكيت في الأماكن الصحيحة. هل ترغبين بالخروج خلال الاستراحة لتناول الشراب أو القهوة؟».

«كلا شكراً لك. سأكتفي بالجلوس هنا.. وبالتفكير بكل ما رأيت وسمعت».

تركها حينها وجلست وحدها وهي تشعر بالارهاق بأعماقها وصعوبة وتعقيد المشاعر التي شعرت بها هذا اليوم كانت تكتنفها. وكأنها قد غادرت بلدتها الهادئة ومنزلها الدافيء منذ ساعات وشعرت فجأة بالوحدة والاثارة بنفس الوقت.

لو أن بإمكانها فقط الاندفاع نحو والدتها بعد انتهاء العرض لتخبرها بكل ما حدث.. لو أن بإمكانها فقط رؤية رون بلوكيو بين الجموع. لكن لا لربما من الأفضل أن تقابله لاحقاً بعد أسابيع حين تعتاد أكثر على جو حياتها الجديد هذا.

حدقت بجموع الناس في الصالة في الأسفل ولم تجد وجهاً واحداً مألوفاً. لكنها تذكرت فجأة! وركزت نظرها الى الطرف الأيمن للمقعد الأخير في «البلكون» وانحنت بسعادة عارمة على الحافة أمامها لتتيح لنفسها الوضوح الأكبر.

فوراً تحركت فوطة وورقتين بذلك المكان بتلويح واضح. وبدفء من القلب ابتسمت ناتاشا ولوحت بيدها.

«من هم الأصدقاء؟» جاءها الصوت من خلفها وبنبرة مندهشة.

«انهن لوليتا وماريانا وايفا. انهن هناك، آه من الرائع معرفة أحد ما هنا».

«أنت تعرفينني» أشار. لكن حين علّقت بسذاجة: «ذاك يختلف» لم يتابع هو التعليق.

ثم نظرت اليه وفكرة مفاجئة خطرت لها.

«سيد روتسو. هل ستقوم بعمل لطيف، لطيف جداً؟» قالت بلهفة.

«لا أعتقد ذلك. فأنا لست شخصاً لطيف، لطيف جداً» أجاب مقلداً

نبرتها بدقة متناهية: «لكن ماذا تريدين مني أن أفعل؟».

«هلا نظرت الى الصف الأخير في البلكون» وابتسمت للجهة التي تظهر بها تلك الأوراق والفوطة البيضاء: «هذا.. هذا سيعني الكثير لهن».

«آه، لا أعتقد..».

«كن بالغات اللطف معي. حتى أن لوليتا أعارتني شالها الحريري هذا حتى لا أشعر بأنني زرية المظهر برفقتك».

«أنت لا تقولين!» نظر الى الشال وتابع بشكل غير متوقع: «انه ساحر».

انحنى الى الأمام ونظر الى الجهة المطلوبة ثم ابتسم. للحظة توقفت الأوراق عن التلويح وكأن الذهول المطبق جعلها تتجمد. ثم ولأنهن بدون محتارات رفع يده بحركة غير مهتمة لكن جميلة ولوح قبل أن يعود الى مقعده مجددا.

«شكراً لك. شكراً جزيلاً لك» همست ناتاشا بحرارة.

«لا داعي للشكر» قال باستمتاع جاف ثم انطفأت الأضواء استعداداً لبدء المشهد الثاني.

لن تنسى ناتاشا أبداً ليلتها الأولى بدار الكوفنت تلك. لأنها وأولاً لم يسبق لها أن حضرت هكذا عرض ساحر ورفيع الشأن من قبل وثانياً أن تحضر هذا برفقة خوليو روتسو كانت تجربة غريبة وساحرة. ولإنهاء هذه الأمسية النادرة بحدث رائع كبدايتها ومحتواها أخذها خوليو روتسو الى الكواليس بعد انتهاء الأوبرا ودخلت ناتاشا للمرة الأولى بحياتها الى عالم الغموض السحري والحقيقة الواقعية، عالم الخيال والسحر والضوء.

وكانت الجموع تبتعد عن طريقهما مفسحة الطريق للموسيقي العظيم، حيّاه الحارس باحترام وفتح لهم الباب لو حدث هذا مع أي شهير آخر لاعتبرت ناتاشا ذلك رد فعل مبالغ به. لكن مع خوليو روتسو بالذات بدا ذلك طبيعي وعادي جداً. كان هو في مجاله الخاص ومملكته الخاصة.

وشعرت أكثر بهيبته وعظمته حين صعدا الى غرف ملابس الفنانين حيث حيّاه الأبطال باحترام بالغ وهيبة واضحة وانحنى من قام بدور عطيل وديدمونة له بإعجاب ثم وفيما هما يبتعدان عن غرف الملابس استعداداً للنزول مجدداً خرجت من احدى الأبواب امرأة ممشوقة القامة شديدة

الجاذبية والجمال بفراء رمادي من المنك حول أكتافها جعل ناتاشا تشهق بصمت وتجد شالها فقيراً ومزرياً.

«خوليو!» هتفت المرأة بدهشة ولدهشة ناتاشا اقتربت المرأة من خوليو روتسو وقبلته على وجنته بحرارة. ولدهشتها الأكبر ابتسم الموسيقي لها وقبلها بدوره على وجنتها. شعور غريب من الغضب والألم امتزج داخل ناتاشا بشكل لم يسبق لها وأن اختبرته من قبل.

المحادثة بينهما كانت مختصرة وباللغة الايطالية، لكن كان من الواضح أن معرفتها ببعضهما البعض لم تكن عادية. لم يزعج نفسه بالتعريف عن ناتاشا هذه المرة. لكنها لاحظت أنه كان يضحك ولامس يد المرأة الجميلة بخفة قبل أن يبتعد.

سارت ناتاشا بأعقابه وهي تشعر فجأة وكأنها مراهقة صغيرة.

«من هذه الناحية» قال وهما يخرجان من باب المسرح. ومتجاهلاً اثنين من المعجبين بدفاتر تذكارتهم الموجهة اليه وتابع سيره وناتاشا خلفه نحو موقف السيارات. سيارة سريعة مرت فجأة ولو لم يمسك بذراع ناتاشا ويشدها اليه على الرصيف لأوشكت السيارة أن تؤذيها.

للحظة كانت شبه ملتصقة به وذراعه حولها. ومرة ثانية اختبرت شعور الصدمة الكهربائية المذهل. كان هذا شيئاً غريباً وجديداً تماماً عليها وشعرت بالضعف حين أفلتها وعادت لتسير بجانبه بتعثر.

«ما الأمر؟» سألها بدهشة حتى أنه وضع ذراعه على كتفها ليثبت خطواتها: «أنت لم تكوني مرعوبة صحيح؟ لم يكن من خطر حقيقي بتلك السيارة المسرعة!».

«أجل.. أجل أعرف لم يكن من خطر بذلك» وافقته.

لكن وهي تسير الى جانبه نحو سيارته أدركت فجأة الخطر الحقيقي الكامن بهذه الليلة، أدركت ذلك للمرة الأولى سنوات عمرها العشرون. ولا علاقة للخطر بتلك السيارة المسرعة مطلقاً.

بدا غير راغب بالتحدث بطريق العودة وبالبداية ظلت هي صامتة بدورها. لكن، ولسبب تجهله ولم تستطع مقاومته وجدت نفسها تسأل: «من كانت تلك المرأة الجميلة بمعطف المنك الرمادي؟».

«الآن؟ آه في الكواليس تقصدين؟ انها جوليا بورتيغي. ألم تعرفيها؟».

«آه، أجل! لقد تذكرت الآن. لقد شاهدت صورتها من قبل. تساءلت لماذا يبدو وجهها مألوفاً. انها مشهورة جداً صحيح؟».

«انها واحدة من الفنانين القلائل بهذا العصر والممكن وبدون أي تردد نعتهم بصفة ـ عظيم ـ» أجابها.

«آه» همست ناتاشا وهي تشعر بالفضول والانزعاج. ثم سألت بعد دقيقة: «هل تكون عادة أنت المايسترو بحفلاتها؟».

«دائماً حين تغني في اسبانيا وأحياناً حين تغني في بلاد أخرى. ستأتين وتستمعين اليها حين أرأس حفلتها مستقبلاً. سيحدث هذا في الشهر المقبل»

«آه، شكراً لك انها.. انها جميلة جداً صحيح؟».

«كلا. انها مثقفة وذكية لدرجة باهرة وجذابة جداً مما يؤدي الى شيء خطير أكثر من مجرد كونها جميلة».

انه بالتأكيد يستعمل الكلمة «خطير» بأكثر المعاني غرابة. فقالت ناتاشا بصوت منخفض: «فهمت». ثم ظلت صامتة الى أن وصلت الى سكن الطالبات.

ثم شكرته بخجل لكن بصدق وحرارة على هذه الأمسية الأكثر روعة.

ابتسم بجفاف خفيف وقال: «كان هذا جزءاً من تدريبك. تصبحين على خير ناتاشا».

ذهلت وشعرت بالاطراء لمناداته لها باسمها الأول وردت «تصبح على خير» بكل سعادة تسلقت درجات المنزل وشعور غريب يتغلغل داخلها فيما ابتعد هو بسيارته.

«أنا لست مثقفة ولا ذكية لدرجة باهرة ولا جذابة جداً. ولست بالطبع خطيرة ولا لدرجة واحدة. لكنه ناداني ناتاشا» وفجأة ولهذا السبب بدت الأمسية ناجحة.

وصلت صديقاتها بعد فترة قصيرة، نظراً لأن محطة المترو كانت بعيدة بعض الشيء عن المنزل. وفوراً غمرتها الفتيات بالشكر والضحكات لبادرة خوليو روتسو نحوهن.

«كيف فعلت ذلك؟ كيف تمكنت من اقناعه بالنظر الى البلكون والتلويح لنا نحن؟ كدنا أن نصاب بالاغماء!» قالت لوليتا.

«أنا فقط.. فقط طلبت منه ذلك» قالت ناتاشا.

«بكل بساطة.. هكذا؟ لكن ماذا قلت له؟ كوني لطيفة وأطلعينا على كل شيء خطوة بخطوة وبالتفصيل من غير الممكن أنك قد قلت له فقط، هاك أصدقائي هناك، لوّح لهن أيها العزيز».

«أنا لم أقل بالطبع، أيها العزيز. هو لم يرغب بأن يفعل ذلك بالبداية، لكني شرحت له بعد ذلك كم كنتم لطفاء معي.. فغيّر هو رأيه».

«المجرد أنك أخبرته أننا لطفاء معك؟ لا شك أنه مغرم بك اذن أو شيء من هذا النوع» قالت لوليتا.

«مغرم بي؟ أؤكد لك أن شيئاً لن يكون مستحيلاً مثل هذا الأمر».

«أتعنين أنه لا يحبك» سألت ماريانا.

«أقصد أنه من غير الممكن أن يكون أقل اكتراثاً وأهمية مما هو عليه. هو يعتقدني ساذجة ومتعبة لا بل غبية. لكنه يؤمن أن عندي صوتاً جميلاً وهو بكونه الموسيقي العظيم فقد أخبرني أنه سيجعل مني مغنية وقد أنكسر أنا بهذه العملية».

«يا للازعاج. أشكر الله انني لست موهوبة لهذه الدرجة. فالحياة ستصبح كالجحيم اذا كنت موهوبة حقاً. هل أخذك الى الكواليس بنهاية الأوبرا؟».

طأطأت ناتاشا برأسها بموافقة.

«ما هو رأيه بتريزا ماشو؟ التي قامت بدور ديدمونة؟».

«آه هو لم يقل لي. ولكني أعتقد أنه لم يعجب بأداءها».

«هذا تصرف جيد وملائم له. انها حتى لا تصنف كمغنية من الدرجة الثانية. أراهن أنه ليس من اختارها لهذا الدور. من المؤسف أن المؤدية لم تكن جوليا بورتيغي!».

«انها كبيرة بالسن قليلاً نسبة للدور» قالت ماريانا.

وبدأ نقاش وجدال مطول حول صحة ما قالته ماريانا أو خطأه وبدافع ما تدخلت ناتاشا بالحديث وقالت: «على كل حال، كانت جوليا بورتيغي في

الكواليس أيضاً لقد رأيتها هناك».

«هل قابلتها؟» صاح الجميع بعدم تصديق.

«ليس فعلاً. لقد تحدثت مع السيد روتسو.. لقد قبّلته واعتقدت هذا تصرفاً جريئاً منها، لكن يبدو أنه تقبّل الأمر بطريقة جيدة».

وتبسيطها لهذه الحادثة بهذا الشكل أشعرها بالارتياح وتتابعت الأحاديث بمرح وبساطة.

صباح اليوم التالي بدأ الفصل الجديد من حياة ناتاشا وذهبت الى درس الغناء الأول مع راندا بيور والتي تسكن بمكان قريب من المنزل. منزل السيدة بيور كان جميلاً والذوق واضح بأثاثه وتحفه. وعرفت ناتاشا أنها كانت ستسعد بدروس الغناء هذه وهذا ما حدث فعلاً.

«أنت لست موهوبة فقط. بل لقد تم تعليمك بطريقة ممتازة. وأنت تتمتعين بأذن وحس موسيقي وهذا سيكون عاملاً مساعداً جداً لك. أنا أطلعك على هذا بكل صراحة لأنني أعتقد، قد تمرّين بأوقات تحتاجين بها الى دعم لثقتك بنفسك ومقدراتك».

لم تنطق راندا اسم خوليو روتسو بالضبط لكن المعنى كان واضحاً وأدركت ناتاشا أن راندا تعرف بالضبط طرق وأساليب خوليو روتسو بالعطاء.

لكن راندا بيور نفسها كانت معلمة صارمة ودقيقة. لكنها كانت تتمتع بالكثير من الصبر والهدوء، والذي وجدته ناتاشا، بالأسابيع اللاحقة، بديل رائع لجلساتها العاصفة مع خوليو روتسو.

دروس اللغات أيضاً كانت ممتعة أيضاً. ووجدت ناتاشا أن عندها مقدرة كبيرة على التعلم السريع ونطق الحروف بمخارجها الصحيحة. بالنسبة لحياتها بمنزل ايزابيلا فقد كانت ممتعة ورائعة فعلاً ووجدت صديقاتها وبالذات لوليتا رائعة واعتبرتها كشقيقة لها.

وبدروسها الموسيقية تسير على خير ما يرام ودروس اللغات تعطي ثمارها وحياتها اليومية في المنزل فرحة وممتعة، صارت حياة ناتاشا صفحات ملونة سعيدة لا يشوبها سوى نقطة معضلة واحدة ألا وهي جلساتها الأسبوعية مع خوليو روتسو والتي لم تكن ما تسميه نجاحاً.

ليس انها لم تحاول، لربما هي كانت تحاول بجهد كبير أيضاً. هي بالطبع كانت تشعر أحياناً بالقلق والتوتر وكان هذا ينعكس بصوتها. وكانت لتسمع بعد ذلك تعليقه الغاضب: «استرخي، هلا فعلت!» لكن بنظرة واحدة الى وجهه وملامحه المتفجرة كان الاسترخاء آخر ما ستحصل عليه بالطبع.

كانت تشعر بكرهها له بتلك اللحظات، لكنها كانت تتلهف لسماع مديحه. أحياناً كانت تشعر أنها مستعدة لدفع أي شيء مقابل سماعها لمديحه لها أو على الأقل لسماع رضاه عنها. لكن حين يحدث ذلك وباللحظات النادرة كانت تخرج الكلمات بعد عناء وجهد لدرجة أنها ما كانت تستمتع بذلك.

وحدث هذا الشيء بالذات بجلسة يوم الاثنين. أخبرها خوليو روتسو أن موعد الجلسة سيكون في الثانية والنصف وليس في الثالثة.

نهضت ناتاشا صباح يوم الإثنين كالعادة وهرعت الى الهاتف حين أخبرتها السيدة ايزابيلا أن شخصاً يدعى رون بلوكيو يريد التحدث معها.

«ألو، رون. هل تتكلم من مدريد؟».

«أجل بالفعل. وهل أنت حرة اليوم على الغداء وهل أنت مستعدة لمرافقة مواطنك الفقير؟».

«آه أنا أحب ذلك جداً. هل تقصد فعلاً أن عندك وقت لتقضيه معي؟».

«أقصد أنك الشخص الوحيد الذي سأخلق الوقت له. معي كل أنواع الرسائل لك من عائلتك وقد حملت على عاتقي نقل كل الأخبار عنك لهم. هل بإمكانك ملاقاتي في مطعم «الشاريوت» في الواحدة؟».

«الشاريوت!» رددت بذهول.

«ألم يسبق لك وأن ذهبت الى هناك من قبل؟».

«كلا، بالطبع لا! أنا لا أذهب الى أماكن مثل الشاريوت».

«ألا يصطحبك الموسيقي الشهير الى هكذا أماكن؟».

«مجدداً بالطبع لا. ما هي نوع العلاقة التي تعتقدها بيننا؟».

«لا أعرف. لربما هذه احدى المعلومات التي ستطلعيني عليها. في مطعم الشاريوت اذن في الواحدة».

أعادت السماعة الى مكانها وقلبها يزقزق بسعادة ثم توقفت ميتة. موعدها مع جلسة خوليو روتسو في الثانية والنصف فكرت وضربت رأسها بصدمة! كان عليها اخبار رون بجعل الموعد أبكر من الواحدة، لكن.. ما حدث قد حدث! ولربما مع بعض التكتيك ستتمكن من الوصول الى الموعد بالوقت المناسب.

وصلت الى الشاريوت ووجدت رون بلوكيو بانتظارها.

ابتسم لها بجاذبية طاغية وقال: «لقد تغيرت».

«بأية طريقة؟».

«لا.. لا أعرف. أنت أكثر.. ثقافة على ما أظنّ. وتبدين كالفتاة التي تفتح أمامها أبواب الحظ».

شعرت بالسعادة ومع أنها أخذت تسأله عن عائلتها والأحباء ومنزلها الا أنها فكرت أنه كان على حق. وشعرت أنها فعلاً تختلف عن ناتاشا التي كانتها سابقاً.

لم يكن خطأ رون بلوكيو أن الوقت مر بسرعة البرق وصعقت ناتاشا حين نظرت الى ساعتها ووجدتها الثانية والثلث.

«متأسف لتأخيرك عن موعدك. الخطأ هو خطأي. لكني سابقى في مدريد ليوم أو يومين وقد تتعشين معي في أمسية ما وسيكون عندنا الوقت الكافي للتحدث».

«أجل.. أجل، شكراً لك. أحب ذلك جداً. يجب أن أغادر على الفور الآن. هل تمانع؟ هل ستتصل بي؟».

«أجل، بالطبع. وأنا لا أمانع بمغادرتك السريعة الآن، أنا أتفهم الوضع. سأبقى وأتدبّر أمر الفاتورة. واذا كان عليك المغادرة قبلي فالنادل سيؤمن لك تاكسي. اذا ما كان خوليو روتسو قاسياً معك فأخبريه أنك كنت تتغدين معي».

«اه، سأفعل» قالت وهي تشعر بالارتياح لهذه الفكرة.

ركضت خارج المطعم ومرت الدقائق كالساعات وهي تنتظر وصول التاكسي، ولسوء الحظ أيضاً كان الازدحام شديداً بهذا اليوم الماطر، والآن وصلت أخيراً الى أسفل البناء.

ضغطت جرس الباب وفُتح فوراً وأطل عليها ستيفان برون، الكورس المساعد في الأوبرا وعازف البيانو البديل، والذي كان يساعد خوليو روتسو ببعض الأعمال الكتابية والطباعة. كان يعرف ناتاشا وبادرها فوراً: «لقد تأخرت كثيراً».

«أعرف» قالت وهي تمر عبره الى غرفة الأستوديو لتجد خوليو روتسو جالساً خلف البيانو.

«قلت الثانية والنصف» علّق بجمود.

«أعرف. آسفة، السير كان..».

«السير وازدحامه ليس عذراً. في مدريد يأخذ المرء ازدحام السير بالحسبان. ألم تكتشفي ذلك بعد؟ أين كنت تتناولين الغداء؟».

«في الشاريوت» وحين ارتفع حاجباه أضافت بسرعة وبدفاع: «مع رون بلوكيو اذا كان عليك أن تعرف. انه من بلدي».

«اذا تأخرت مرة ثانية بسبب تناولك للغداء مع صديق لك من بلدتك في الشاريوت فلا تزعجي نفسك بالحضور الى هنا، سيكون هو درسك الأخير. هل تفهمين؟».

«أجل لكن..».

«لا يوجد لكن بهذا الموضوع. اما أن يأتي الغناء بالدرجة الأولى والثانية والأخيرة. أو أفض يدي منك والآن هل هذا واضح؟».

كانت ترتعش بخيبة عميقة لردة فعله هذه ولاكتشافها أن اسم رون بلوكيو ليس له أي تأثير يذكر عليه.

«أنا.. أنا بمقدوري أن أخبرك عن مدى أسفي و..» تمتمت.

«لا تحاولي. سيشعرني ذلك بالملل الكامل. هلا بدأنا؟».

من المستحيل أن يكون أداؤها جيداً بعد هذا، قالت لنفسها. كل ما استطاعت أن تفعل هو التحكم بتنفسها والسيطرة على أعصابها المرتجفة. لكنه حدجها بنظرة واحدة وقال: «تمالكي» وبطريقة ما فعلت.

«ليس جيدا جدا» كان حكمه بعد مرور العشر دقائق الأول.

«السيدة بيور أخبرتني أنها كانت تدرسك المقطع الأخير من أوبرا عطيل».

«أ.. أجل. لقد تأثرت لدرجة غير معقولة بها تلك الليلة لدرجة أنني أدركت أن أعرف مدى اتقاني لها».

«فهمت. وماذا تعتقدين درجة.. اتقانك لها؟» سألها بجفاف.

«ليس أنا من يحكم بهذا الشأن. ما الذي قالته الآنسة بيور؟».

«قالت أن أغنيتي ـ آف مال وتايدا ـ لا بأس بهما» كان الرد.

«أنا.. أنا مسرورة لاعتقادها هذا» قالت ناتاشا.

«سأسمعك. ابدئي من بداية الفصل الثاني حين تتكلمين مع اميليا. وتذكري أن رعب الموت بداخلك».

ببعض العصبية حاولت ناتاشا نسيان هويتها الحقيقية والغرق في شخصية ديدمونة وهي تغني موتها العاجل بأغنية آف مال.

«كلا، كلا! أنت لا تخبرينها أنك سترينها مجدداً في الصباح وأنت تتناولين الشاي والبسكويت. أنت تودعينها، أيتها الغبية الصغيرة، مدركة بأعماقك أنك قد ترينها الآن للمرة الأخيرة. استمعي الى هذه الدقات» دق النغمات المرعبة على البيانو: «ألا تسمعين هذا، حالما تخرج اميليا، سيدخل الموت؟ لهذا صرخة وداعك يجب أن تجمد الدماء بالعروق. أنت خائفة.. خائفة.. خائفة..».

شعرت أنها كذلك فعلاً، فحين ينطق بالكلمات بهذه الطريقة ويحدق بك بتلك الطريقة والبرودة والعدائية بأعماق عيونه الداكنة، كانت أوصالها ترتجف. ولهذا فقد كررت المقطع وطأطأ هو برأسه موافقاً، وببعض الرضى كما يبدو وتركها تتابع الى النهاية حتى وصلت الى أغنية «تايدا».

في النهاية وضع يديه على ركبتيه وسألها: «هل تعرفين بقية الفصل؟».

«أجل بالطبع».

«ولماذا بالطبع؟».

«لأنه لا يهمني أن أتعلم مقطعاً معزولاً ومفرداً. أريد أن أتعلم كل شيء عن الفصل بأكمله حتى أفهمه بشكل كامل وأتمكن من أداءه بالطريقة والأسلوب الصحيح».

«جيد. ستتابع بقية الفصل اذن. أود أن أراك تمثليه وتغنيه» قال وكادت أن تشهق بذهول.

«لكن كيف.. بدون وجود عطيل؟».

كرد على هذا السؤال نادى خوليو روتسو على ستيفان وقال له: «تعال واعزف لنا المقطع الأخير من أوبرا عطيل. أريد أن أمرّن الآنسة برايت عليه. أنا سأنطق كلمات دور عطيل».

«من بداية الفصل؟» سأل ستيفان وهو يجلس خلف البيانو.

ـ«كلا فقط من عند أغنية «آف مال». استلقي على الكنبة ناتاشا. لقد قرأت صلواتك وخلدت الى السرير ثم.. يدخل عطيل».

قامت بما طلبه منها لكنها حدقت به بعيون متوسعة وخائفة وهو يقف قرب الكنبة ووجهه فوقها.

«أغمضي عيناك. أغمضي عيناك، أنت نائمة وحين تفتحيهما مجدداً تذكري أنك تحبين الرجل الواقف أمامك تحبينه وتخافينه بنفس الوقت».

أغمضت عيناها، كانت تحت سحر سيطرته تماماً لدرجة أنها لم تجرؤ على النظر اليه عبر رموشها مع أن الصوت الجميل العميق والمعبر كان ينطق بكلمات عطيل بقوة طاغية ومرعبة.

للحظة فكرت أنه من المستحيل لها المتابعة، ثم أدركت أن عليها ذلك. وحين سمعت بدء دورها من ستيفان الذي يتابع على البيانو فتحت عيونها، اتكأت على مرفقها وغنّت مقطعها بصوت نبراته ترتفع باستفسار رقيق.

كان يقف وينظر اليها بأسى يقطع القلوب بخبث شيطاني أيضاً وفكّرت فجأة بما قاله لها للتو.. «أنت تحبين الرجل الواقف أمامك، تحبينه وتخافينه بنفس الوقت».. سيطر عليها هذا الاقتناع ببريق كالصاعقة لأنه كان الحقيقة، وبدون علمها كان هناك حنان ورعب بنظرتها وكذلك بصوتها.

ثم حين سألها بنبرات يثقلها القدر اذا ما كانت قد تلت صلواتك لتلك الليلة أصبح كل شيء حقيقياً بدرجة مروعة لدرجة أن كل شعور بالتمثيل هجرها.

بالتدريب والانتظام الفطري ظلت الكلمات تتدفق الى فمها لكنها كانت تغنيها بصراخ مرعوب وبتوسل جعل ستيفان ينظر اليها بتعجب أصيل. ثم قفزت عن الكنبة كأنها فعلاً ستفقد الحياة وكانت لتقفز بعيداً عن المشهد بأكمله لولا أن انحنى الموسيقي البارع نحوها ودفعها مجدداً الى الكنبة.

صرخت بالفعل حينها وحين شعرت بأصابعه على حنجرتها ـ كما يتطلب لدور ـ انفجرت بالبكاء.

أفلتها فوراً وتوقفت الموسيقى فجأة فيما جلست ناتاشا على الكنبة وهي لا تزال تبكي.

«توقفي عن هذا الهراء» قال لها خوليو روتسو بعد دقائق. وحين لم تستطع ذلك جلس الى جانبها ووضع ذراعه حولها.

«لا تكوني سخيفة. لا يجب أن تنفعلي بتأثر لهذه الدرجة، والا فلن نتمكن أن نجعل منك فنانة. على الشعور أن يكون موجوداً بالطبع.. وعندك الكثير من المشاعر هذه وأنت فتاة جيدة.. لكن عليك التحكم بعواطفك لا أن تدعيها تتحكم بك. هل أخفتك لهذه الدرجة؟».

طأطأت رأسها موافقة دون أن تنطق.

«يبدو أن عليّ التمثيل على المسرح» قال لستيفان باستمتاع.

«عندك موهبة بالطبع. لكنك أخفتها كثيراً بالتهجم عليها بقسوة لتأخرها عن الموعد» قال ستيفان.

«أنا اسف».

نظرت ناتاشا اليه بهذه اللحظة بعدم تصديق وقالت: «ماذا قلت؟».

«هذا مدهش بالطبع، أعرف لكني قلت أنني آسف. أعتقد أنني قد انسقت كلياً بالدور».

«حقاً؟».

«أجل، هناك ثناء لك على تمثيلك وأدائك. لكن تذكري.. لا يجب أن تتركي رعبك ومشاعرك تسيطر عليك».

«ما كنت لأفعل ذلك مع أي شخص آخر» قالت بسذاجة مما دفعه للضحك.

«أنا لن أكون أبعد من الفرقة الموسيقية. تذكري، حتى لو لم أكن على المنصة».

جففت عيونها ونظرت اليه بذهول.

«هل تقصد..» بدأت بنفس لاهث.

«أنا لا أقصد أي شيء. كنت أنظر الى البعيد. لكن اذا ما توصلت لغناء

ديدمونة على المسرح فثقي أنني سأكون قائد الفرقة».

«لأنك.. لأنك تريد أن تكون المايسترو لي؟» قالت بدهشة.

«كلا. بل لأن لا نية لدي بتركك تتسببين بالفوضى العامة. لكني أقول لك.. هذا سيحدث في المستقبل البعيد. هذا اذا ما حدث أصلاً» كان الرد القاسي.

تقبلت ذلك حينها ولم تطرح المزيد من الأسئلة. لكن وهي بطريق عودتها الى المنزل أخذت تفكر بعمق وبكل ما حدث بهذه الأمسية المذهلة.

ومع أن المطر قد توقف الآن لكنها لم تكن تشعر بذلك وكانت كلمات خوليو روتسو تتكرر بعقلها: «تذكري أنك تحبينه وتخافينه بنفس الوقت».

«أعتقد أن هذا ما يمكن أن ينطبق عليه هو بالذات. انه بكل بساطة بغيض وكريه معظم الأحيان. ما كان ليكون أكثر بغضاً عما كانه حين وصلت متأخرة. ولكن.. كيف بدا حين كان يؤدي ذلك الدور. لكنه كان مجرد دوراً تمثيلياً بالطبع.. وكان ستيفان محقاً بقوله أن لخوليو روتسو موهبة تمثيلية. لكن الأمر لم يكن كذلك فقط» فكرت بفضول.

وفجأة وكالصاعقة توقفت مكانها بجمود وقالت بصوت مرتفع: «لقد قبّلني.. بطريقة خفيفة ضاحكة قبّلني! لم أفكر بذلك قبل الآن لكني لم أشعر بذلك في حينه لكن.. آه، أنا أتذكر ذلك الآن. انا أذكر أنه قد ضحك ولامس وجنتي بشفاهه.. وقال انني فتاة جيدة وعندي الكثير من المشاعر».

أعطاها هذا أكثر المشاعر غرابة وروعة. شيء بين النشوة القصوى والسعادة الفردوسية.

ومرة أخرى رن جرس الهاتف ذلك اليوم مجدداً كان رون بلوكيو هو المتكلم باستفسار قلق ولطيف حول ما حدث لها بدرسها ذلك اليوم.

«كان ذلك مريعاً لدرجة ما. كان شديد الغضب حين وصلت متأخرة.. لكن بالنهاية تغلب على ذلك.. وتمتعت بدرس ممتع».

«ممتع كيف؟» سألها.

«حسناً، جعلني أقوم بدور ديدمونة في أوبرا عطيل وقام هو بدور عطيل و..».

www.rewity.com YAHEENA

«وهل يغني؟».

«كلا، كلا. هو اكتفى بنطق الكلمات، وتتابع الفصل بشكل معتاد ومؤثر».

«حتى المقطع الحساس».

«أجل» ردت بخيال وهي تتذكر كل لحظة سابقة.

«لا أعتقد ذلك مناسب تماماً» علّق رون بجدية مما جعل ناتاشا تضحك.

«خوليو روتسو لا يقوم بالأشياء المناسبة. لكن لم يكن من شيء مهين بذلك اذا كان هذا ما تقصده».

«لا أستطيع تخيل كيف ممكن أن يكون ذلك شيئاً غير مهيناً. متى بإمكاني دعوتك للعشاء ناتاشا؟».

«آه، بأي وقت. أنا أذهب الى الأوبرا أحياناً مع الفتيات. لكن لا يوجد أي شيء خاص بهذا الأسبوع حتى يوم الجمعة حيث سأذهب لأحضر فالي لجوليا بورتيغي حيث سيكون السيد روتسو المايسترو».

«اذن سأدعوك مساء الغد موافقة؟ وهل ترغبين بالذهاب الى المسرح أم تفضلين العشاء والرقص؟».

«أنا لا أمانع. كلا الخيارين يبدوان رائعين، وممتعين جداً».

«اذن سنفعل الخيارين. سأمر لاصطحابك غداً في السادسة والنصف لكننا سنتعشى قبل أن نذهب الى المسرح. ثم سنذهب لنرقص في مكان ما. موافقة؟».

«مليون بالمئة موافقة. شكراً جزيلاً لك» أعلنت ناتاشا بسعادة.

أعادت السماعة الى مكانها وهي تشعر بأن رون بلوكيو هو ألطف رجل بالعالم بأكمله.

صباح اليوم التالي، حدث شيء أكّد رأي ناتاشا برون بلوكيو. فقد وصلتها رسالة في الصباح تتضمن مبلغ خمس مائة دولار مع رسالة صغيرة تقول: «سيدتي العزيزة لقد أمرنا زبوننا أن نقدم لك مبلغ المال المرسل مع الرسالة. يشعر زبوننا أنه وبالرغم من التغطية الكاملة لكل تكاليف اقامتك ودراستك وما الى ذلك الا أنك ستحتاجين لبعض المصروفات الخاصة من وقت لآخر (لشراء الملابس الخاصة الخ..)، المبلغ المرسل مخصص

لهكذا احتياجات وسيصلك مبلغ مماثل كل شهر. المخلص لك».

«آه هذا كثير جداً. انه ملاك» علّقت ناتاشا.

«من هو هذا؟» سألتها لوليتا الموجودة معها على طاولة الافطار.

«آه، لوليتا.. أتمنى لو كان باستطاعتي اخبارك».

«ولم لا تفعلي اذن؟» اقترحت لوليتا ببساطة.

«لأن..» ثم شعرت ناتاشا فجأة برغبة عميقة لمشاركة أحدهم بهذا السر فشرحت للوليتا كل ما حدث.

وأنهت حديثها بقولها: «لكنه ليس مجهول الهوية تماماً لي في الحقيقة، هو قد يكون شخص واحد فقط» وتابعت لتشرح لصديقتها عن رون بلوكيو ولطفه معها ومع عائلتها.

«لا شك أنه مغرم بك» سارعت لوليتا للقول.

«كلا، كلا. انه ليس كذلك. وانما تعتقدين بوجود غرام بين الأشخاص. أنا ليس عندي الوقت لهكذا أمور. أنا سأصبح مغنية فنانة. الأمر فقط أنه يحترم عائلتي كثيراً ويؤمن بصوتي و.».

«هل هو رجل عجوز؟».

«عجوز!؟ كلا بالطبع لا. ولماذا يكون كذلك؟».

«هذا ما فهمته من طريقة حديثك.. ملصقة به كل تلك الدوافع الغبية والباهتة. هل هو وسيم الشكل؟».

«أجل، أجل».

«أجمل من خوليو روتسو؟».

«أنا.. لا أعرف. لم أفكر أبداً بإجراء أية مقارنة بينهما. انه أجمل وأكثر وسامة من السيد روتسو. انه يبدو حبيباً».

«حسناً لم يسبق لأي شخص أن أعطى هذه الصفة لخوليو روتسو. متى وصل المال؟».

«اه..» قالت ناتاشا وبما أن الرسالة كانت تدل على نفسها ناولتها ناتاشا لصديقتها وقالت: «أرأيت.. لا شك أنه رون بلوكيو.. هو سيصطحبني الى العشاء هذه الليلة ولا شك أنه قد فكّر أنني لا أملك الثوب المناسب لهكذا مناسبة. لهذا قد أرسل لي المال».

«انه توقيت قريب أجل. لكن، هذا لا يهم فعلاً. المال هو الشيء الأساسي! انتهي من الفطور وسأصطحبك لشراء الثوب المناسب. هل عندك دروس صباحية؟».

«كلا، كل شيء تمام» أعلنت ناتاشا.

وظل هذا هو اعتقادها لاحقاً من ذلك اليوم ولوليتا تنتقي لها الثوب المناسب والذي كان بلون الفيروز مع خطوط بنية داكنة تزيد من روعته وجماله.

«انه يكلف قليلاً. لكنك تبدين كالحلم به وبعد كل شيء عليك أن تحصلي على كبرياء رون واعجابه بما أنه كريم معك لهذه الدرجة».

فكرت ناتاشا بنفس الشيء وهي تنظر الى الرداء الساحر بقصته التي تظهر تناسق جسدها الرشيق ونعومة بشرتها الوردية. وكانت السعادة تزقزق داخلها وهي تتجه الى سيارة رون الذي وصل بالوقت المحدد بالضبط ومد لها يديه وهو ينظر اليها بموافقة ورضى.

«ساحرة تماماً. هذا بالطبع لم يصل من البلدة».

«آه، كلا! لقد اشتريته بمساعدة لوليتا هذا الصباح بالذات.. ممولي الكريم المجهول الهوية قد أرسل بعض المال قائلاً أن عليّ صرفه على شراء الملابس للمناسبات الخاصة. وهذه مناسبة خاصة جداً».

«أنا أشعر بذلك أيضاً. مع أن عليّ اخبارك ناتاشا أن الأمسية بأكملها لن تكون لنا بمفردنا. هل تمانعين؟».

«كلا. مهما كان ترتيبك فأنا سأسر به».

«أنا لم أرتب لذلك بالضبط. على الأقل.. أجل لقد فعلت. لكن فقط لأني كنت مضطراً لذلك، ستتمتع بالعشاء والمسرح بمفردنا. سينضم الينا أحد الشركاء الصناعيين وزوجته لأن..».

«لكن لا بأس بذلك! سأعود الى المنزل حينها اذا أردت فبعد كل شيء..».

«كلا لن تفعلي. ستكونين معي لهذه الأمسية ولن أدعك تفلتي مني، حتى ولو كنا مضطرين لنصبح أربعة لاحقاً فسنمضي أمتع الأوقات بمفردنا أولاً».

وكانت الأمسية ممتعة ورائعة فعلاً وشعرت ناتاشا أنه لم يسبق لها وأن استمتعت لهذه الدرجة من قبل. على العشاء كان رون رفيقاً رائعاً وساحراً وبدا أنه لم يكن مهتماً تماماً بمعرفة كل شؤونها. كان يسألها بتركيز عن الذي حدث بعد أن عادت متأخرة الى درس الموسيقى وبدا متعاطفاً جداً وبالغ الرقة واللطف.

«ليس عليك أن تقلق بشأني فعلاً. أنا بدأت بأن أصبح قادرة على الاعتماد الكلي على نفسي».

بدا وكأنه قد وجد ذلك مشجعاً وجيداً وحين ذهبا الى المسرح سوياً شعرت ناتاشا أنها ناضجة تماماً وما كان ليفرحها أكثر أي شعور اخر غير هذا.

المسرحية التي اختارها كانت جيدة واكتشفا بسعادة أنهما يتشاركان بنفس الأهواء والهوايات. وكان من المؤسف، فكرت ناتاشا أنهما لن يتابعا السهرة سوياً بمفردهما.

على كل حال الزوجين الذين انضما اليهما في فندق الشيراتون كانا بالغا اللطف بدورهما وجلسا معهما بالطاولة التي سبق لرون أن حجزها في المربع الليلي هناك.

«أيعجبك؟» سألها وهو ينظر اليها عبر الطاولة بعيونه الساحرة وابتسامته المحببة.

«أنا أعشقه! لم يسبق لي وأن سهرت واستمتعت هكذا من قبل. لا أظن أنني سأ..».

وماتت الكلمة على شفاهها. لأنه وبخطوات واسعة ووجهه متفجر غاضب كان خوليو روتسو يتجه نحو طاولتهم.

«عن اذنك..» قال خوليو روتسو وهو ينحني باختصار ثم استدار الى ناتاشا وقال بنبرة غضب باردة: «ما الذي تفعلينه هنا بمثل هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ لن تكوني صالحة لأية دروس تدريبية في الصباح!».

«عندي بعضاً مما يسمى حياة خاصة» بدأت ناتاشا بدفاع، لكن رون قدم لمساعدتها فوراً.

«الآنسة برايت ضيفتي. وأنا أتحمل المسؤولية الكاملة بإبقائها متأخرة».

«الآنسة برايت تلميذتي أيضاً. وأنا أتحمل المسؤولية الكاملة بتأكدي من عودتها الى المنزل بساعة ملائمة، كان عليها أن تكون بالسرير الآن. هل ستوصلها أنت الى منزلها أم أفعل أنا؟».

«عفواً.. ماذا قلت؟» بدا رون وكأنه لم يسمع ما قاله خوليو. لكنها أدركت تماماً أنه قد سمع بالفعل.

كانت مستعدة لصفعه بقوة بتلك اللحظة، لكنها قالت وهي تحاول جاهدة السيطرة على أعصابها: «عند السيد بلوكيو ضيوف اخرون ولا يستطيع تركهم بالطبع. وأنا بالطبع لن أكون السبب بإفساد حفلته هذه. سأعود الى المنزل بنفسي حالما أستطيع».

«ستعودين الى المنزل الآن. وسآخذك اليه بنفسي».

«لكني أخبرتك أنها ضيفتي» أوضح رون.

«وأنا أخبرتك أنها تلميذتي وهي بالتالي تحت سيطرتي الكاملة».

«حتى بحياتها الخاصة؟» استفسر رون بعيون متوسعة.

«بكل شيء» كان الرد البارد المختصر.

«سأذهب. لا تقلق رون، عليك الاهتمام بضيوفك الآخرين. من فضلك اعتذر لهم بالنيابة عني واشرح أنني كنت مضطرة للمغادرة. شكراً لك. كانت أمسية رائعة، لا نريد انهائها بالصراخ».

«لكني لم أسمع مطلقاً بهكذا تصرف» احتج رون.

«ستسمع المزيد من هذه التصرفات اذا ما ظللت تتصل بالآنسة برايت. جاهزة ناتاشا؟».

«سأستقل تاكسي» قالت وهي تقف وتحدق به بكره واضح.

«اصعدي» أجاب وهو يفتح باب سيارته، وبما أنه لم يكن أمامها أي خيار آخر.. حتى تتحاشى الصراخ وسط الشارع.. فقد صعدت الى السيارة. لكنها حدقت بالزجاج أمامها وأقسمت ألا تتفوه بأية كلمة.

صمت مطبق أطبق داخل السيارة الى أن قال بنفاذ صبر: «لا داعي للعناد. عليك أن تكتشفي عاجلاً أم آجلاً أن حياة المغنية صارمة ومحددة. السهر الطويل والنوادي ليست لك وكلما سارعت بمعرفة هذه الحقيقة كلما كان أفضل. واذا كنت تتخيلين أنك مغرمة بذاك الشاب فمن الأفضل أن تمسحي

ذلك على الفور أيضاً. لن يكون عندك الوقت لهكذا أشياء. أستطيع أن أؤكد لك هذا».

«أعتقد. أنك أكثر الأشخاص بُغضاً وعدم احتمالاً بالعالم بأسره».

«هذا ممكن جداً. الأشخاص البغيضين والذين لا يحتملوا هم الذين يصلون الى القمة عادة. المملين اللطفاء والرقيقين يبقون في.. بلدتك بونتا مثلاً».

هذه المرة هي من ظنت أنها لم تسمع ما قاله فعلاً. الا يملك ولا ذرة واحدة فقط من اللياقة؟ ها هو يتقبل المال من رون بلوكيو ويتكلم عنه بهذه الطريقة المزدرية. عليها على الأقل اطلاعه على حقارة هكذا تصرف منه.

«هل تظن أنه من اللياقة والشهامة منك أن تتحدث عن رون بلوكيو بهذه الطريقة فيما أنت تقبض ماله لتقوم بتدريبي؟».

مرت فترة صمت طويلة تمنت خلالها أن تكون قد أصابت منه مقتلاً لكن حين تكلم أخيراً بدا مستمتعاً أكثر منه خجلاً: «أنا لم أفكر بهذا من هكذا منطلق».

«اذن فكر به الآن» ردت ببرود.

حين وصلا أخيراً الى المنزل أوقف السيارة وتناول مغلفاً صغيراً من جيبه وناولها اياه.

«هاك بطاقة الحفلة ليوم الجمعة. وأرى أن تكوني هناك بالوقت المناسب».

حدّقت بالمغلف دون أن تلمسه لأنها لم ترغب بتلك اللحظة بأخذ مطلق أي شيء منه.

«شكراً لك. لكني سأذهب مع الفتيات وسأجلس في البلكون» قالت باشمئزاز.

«لن تفعلي ذلك مطلقاً. ستجلسين في الصف الثالث حيث بإمكانك أن تشاهدي كل خيال في الأداء. هذه هي المرة الأولى التي تشاهدين فيها أداء موسيقي عظيم. وقد تدركين تماماً معنى ذلك بالضبط».

«اليس هذا ما يسمى تكبر وعجرفة؟».

«كلا، بالطبع لا. انه مجرد مدح مهم لفنان كبير، وحتى ولو حدث أن

هذا الفنان هو أنا. عليك تعلم ادراك هذا الأمر اذا أنا أردت أن يكون لك يوماً حكماً سديداً. ستجدين أنك اذا استطعت أن تقيمي نفسك بدون خجل أو اجحاف، فأنت لن تتقدمي مقدار خطوة. خذي البطاقة وتوقفي عن المجادلة. حان وقت نومك منذ ساعات».

أخذت البطاقة ولم تشكره ولم تقل له «تصبح على خير». ولماذا تفعل؟ فكّرت بغضب. لقد أعطاها البطاقات ليبهج نفسه لا نفسها وهي لن تتمنى له ليلة هانئة على العكس هي تتمنى أن يهجر النوم عيونه وأن يبقى مستيقظاً جراء ما فعله هذا المساء. لكنها شكت كثيراً أن يكون هذا حاله.

في الحقيقة ناتاشا هي من هجر النوم عيونها تلك الليلة وهي تحاول أن تتذكر القسم الأحلى من تلك الأمسية والذي قضته مع رون، لكنها لم تنجح بذلك نظراً لسيطرة القسم الثاني من السهرة على بدايتها.

«الجميع يقول أنه عبقري. لكني أظن أن عبقريته الخاصة تكمن بأن يجعل نفسه بغيضاً أكثر من أي مخلوق آخر».

وأخيراً وقد أفرحتها نتيجة تفكيرها هذا استغرقت بالنوم.

صباح اليوم التالي كان من الطبيعي أن لوليتا أخذت تسألها باستفسار عن مجريات الليلة السابقة، فأعطتها ناتاشا شرحاً مشرقاً عن القسم الأول من السهرة لكن دون ذكر تدخل خوليو روتسو.

لكن لوليتا كانت مغرمة بالتفاصيل.

«وفي أي وقت أوصلك رون الجميل أخيراً الى المنزل؟ وهل أخذ منك موعداً اخراً خلال اقامته بمدريد؟».

ترددت ناتاشا ولكن ولأن الغضب هو الذي سيطر عليها أوضحت: «ليس رون من أوصلني الى المنزل بل السيد روتسو».

«تقصدين أنه انضم الى حفل العشاء أيضاً؟» سألت لوليتا وعيونها تتوسع بتأثر.

«ليس بالمعنى الذي تقصديه. وصل الى المطعم، رآني وقد تصرّف بطريقة حقيرة ومذلة».

«يا عزيزتي. ألم يقاتله رون أو شيء من هذا القبيل؟» سألت لوليتا بصوت مذهول.

«كلا، بالطبع لا. لا يمكن للمرء أن يقوم بالعراك على مرأى من كل الناس».

«ولا مع خوليو روتسو بالذات. انه من نوع الأشخاص الذي يقصدون تماماً ما يقولون وينفذوه بدون أية مجادلات أو معارضة».

«لقد حدث بعض الجدال».

«لكن دون تبدل بالنتيجة الحتمية؟».

للحظات لم تجب ناتاشا ثم قالت بتردد: «دون تبدل بالنتيجة الحتمية».

وفجأة تمنت لو أن رون رفض السماح لخوليو روتسو باصطحابها الى منزلها مهما بدا هذا غير معقولاً أو غير منطقياً.

لربما رون نفسه شعر أن الأجدر به كان أن يفعل ذلك أيضاً. لأنه اتصل بها قبل أن تنتهي من فطارها وصوته يحمل كل قلقه واعتذاراته.

«أنا ببساطة لم أستطع التغلب على اهانته تلك. ولا أستطيع أن أخبرك عن مدى أسفي ناتاشا، لأنني لم أستطع أن أترك ضيوفي بتلك اللحظة الحرجة».

«أرجوك لا تفكر هكذا. أعرف أنه لم يكن لك أي خيار بهذه المسألة. لا يمكن لأي شخص أن يترك ضيوفه وينسحب. على كل حال، حين يكون السيد روتسو بذلك المزاج فعلى الآخرين أن يقوموا بشيء واحد فقط. أن يطيعوه».

«لم أدرك أن وقتك معه كان قاسياً لهذه الدرجة. لا شك أنك تلعنين وبعمق الشخص الغبي الذي وضعك بطريق هذا الموسيقي».

«اه، كلا. أنا أعطي.. ممولي.. ممولي المجهول الأفضلية لادراكه أن ما أريده أكثر من أي شيء آخر بهذا العالم هو التدريب الأفضل والأكمل. وبالتأكيد أنا أحصل على ذلك من خوليو روتسو مهما كان بغيضاً وغير معقولاً الشخص ذاته. أنا أعرف تماماً أنني محظوظة جداً بكوني تلميذته».

«حتى ولو كان قاسياً جداً معك؟».

«حتى وان يكن» أعلنت ناتاشا بصدق.

«حسناً.. لا أعرف. بدت المسألة وضعاً تعيساً للغاية لي».

«اه، كلا رون. انها ليست تعيسة. لا شيء من هذا القبيل مطلقاً. مغيظة

وتثير الجنون ربما لكنها مثيرة جداً بنفس الوقت. أظن أن الانسان يلعب بالنار لهذه الأهداف بالذات».

«وهل هو كالنار؟».

«بالطبع».

فترة صمت طويلة ثم صوت رون سأل بغفول: «كل هذا غريب هل تشمئزين منه ناتاشا؟».

فتحت فمها لتجيب بالايجاب. الكلمات كانت على طرف لسانها. لكن شيئاً أقوى منها منعها من النطق وشعرت فجأة بالارتباك والحيرة. ليس بالنسبة لما عليها أن تقوله فقط بل بما كان يجول بفكرها أيضاً.

ثم قالت بالنهاية وبخفة: «انها علاقة عمل صرفة..» مع أنها كانت تعرف جيداً أنها لم تكن كذلك: «الاشمئزاز أو.. أو العكس لا يتدخل ببساطة بهكذا علاقة. انه الرجل القادر على جعلي مغنية وأنا أتقبله على هذا الأساس».

«فهمت» رد. لكنه بدا محتاراً وتفهمت ناتاشا ذلك وكانت محتارة من هذا.

ثم شرح لها رون أنه لن يكون قادراً على رؤيتها مجدداً ذلك اليوم لكنه يملك بطاقة للأوبرا مساء اليوم التالي وانه يأمل برؤيتها حينها.

«واذا استطعت الهروب من الطاغية. لربما تمكنا من تناول العشاء معا. سأجد مكاناً بعيداً حيث لن يتمكن من ايجادنا».

«شكراً جزيلاً لك رون، لكن.. لا».

«ألا تزالين خائفة؟».

«ليس هذا، أنا فقط تقبلت معرفته المتفوقة حول نمط حياة المغنية».

«أتمنى أن يعرف هو كم أن تلميذته نجيبة ومطيعة».

«أشك بذلك» قالت بضحك.

«هل دفعك أو حرّضك لتكوين هكذا فكرة؟» سألها.

«كلا أبداً. لقد أقنعني بسلطته الطبيعية على ما أظن».

«حسناً، حسناً.. أنا أحسدك على مبادئك، لكني كنت أتمنى أن تكوني متساهلة أكثر بهذا المجال».

«كلا، رون انه مستقبل أنا مقتنعة تماماً به، الى اللقاء وأراك في دار الأوبرا غداً».

لاحقاً من ذلك اليوم وأثناء درسها الموسيقي لاحظت أن السيدة راندا كانت أكثر مرحاً من العادة معها فتجرأت ناتاشا لتسألها ما كان يحيرها وتقول: «سيدة بيور، هل يتصرف السيد روتسو دوماً كالطاغية المستبد مع كل تلاميذه؟».

فترة من الصمت مرّت قبل أن تقول السيدة راندا: «أنا لا أذكر مطلقاً أنه سبق له وقام بتعليم أي تلميذ أو تلميذة من قبل ولهذا فلا أعرف».

«لم يعلم.. من قبل مطلقاً؟ تقصدين أنني تلميذته الأولى بالمطلق؟».

«هذا حسب علمي أجل. من غير المعتاد أبداً لفنان بمثل مستواه أن يزعج نفسه بالتعليم كما تعرفين».

«اذن شخص ما.. ممولي أو لا أعرف بماذا أدعوه.. يدفع له مبلغاً ضخماً من المال مقابل تعليمي».

«هذا ممكن. لكني أشك بأهمية دور المال بهذا المجال. فالسيد خوليو روتسو يُعد من الأثرياء المكتفيين».

«صحيح. لكن ما هو السبب اذن سيدة راندا؟ ما هو السبب؟».

«ناتاشا أنت غريبة بتواضعك بالنسبة لفنانة، معظم التلاميذ كانوا ليدركوا أن السبب هو مؤهلاتهم ومنذ البداية».

«تقصدين.. انه، ولدرجة ما يعتقدني أستحق الوقت الذي يصرفه على تدريبي؟».

«أعتقد ذلك أجل».

«لكنه لا يعطي ذلك الانطباع» قالت ناتاشا بنشوة وشك.

«أظنه شخصية جادة جداً ويوماً ما ستكونين مسرورة لذلك ناتاشا. نمط حياة الفنان هي من أصعب الأنماط ولربما على أحدهم أن يكون قاسياً معنا في البداية. الكلمات اللطيفة والتصفيق قد يأتيان لاحقاً، وليس في البداية».

«أعتقد أنك على حق. لكنه يكون بعض الأحيان فظاً جداً ودون أي داعي لذلك».

«ممكن. كل الفنانين العظام يعيشون على أعصابهم والقليل منهم يعانون

الجنون بسعادة. الناس العامة يطلقون صفة المزاجية على هذه الطباع. اذا كان عندك المزاجية لأداء عرض ضخم فإنك ستفعلين لكنك حين تنتهين ستكوني عصبية لأصغر الأشياء».

«وهل تعتقدين أنه يشعر ببعض العصبية والقلق لحفلة الغد التي سيكون هو المايسترو فيها؟» سألتها ناتاشا وقد أذهلتها الفكرة.

«حسناً.. لقد كان هو قائد الفرقة الموسيقية لبورتيغي لمرات عديدة. فلا أظن أنه سيشعر بالقلق من جراء ذلك لكن هناك دون شك الشعور بالقلق اتجاه أية أمسية موسيقية حين تكون المسؤولية الأولى تقع على كاهلك. وبالطبع المرء يعتقد دوماً أن المسؤولية الأولى تقع على عاتقه الشخصي».

«هل سبق لك وغنيت بالأوبرا؟» سألت ناتاشا.

«كلا. كنت أتمنى ذلك، لكن حقيقة أنني عرجاء بعض الشيء منعني من الأداء على المسرح».

«لقد نسيت! أنا آسفة. أنت جميلة جداً ورشيقة لدرجة أن الانسان ينسى تمايلك قليلاً بالسير».

«شكراً لك. لكن وكما ستكتشفين بنفسك، على المرء أن يكون نشيطاً وبصحة ممتازة وقوية كالحصان حتى يتمكن من الأداء الأوبرالي. بعضهم يبدو قابلاً للكسر لكنهم بقوة الصلب في الحقيقة. وهذا ما عليك أن تكونيه».

«تجعلينني أعتقد أنني سأنجح فعلاً حين تتكلمين هكذا» قالت ناتاشا.

«ستنجحين بالطبع. أنا لا أتصور أن يتبنى خوليو روتسو فاشلة» كان الرد الجاف.

فكّرت ناتاشا بجملة المعلمة راندا الأخيرة لمرات ومرات خلال تلك الأمسية بمزيج من الرضى والترقب. وفكّرت بذلك خصوصاً في اليوم التالي حين أخذت مكانها بالصف الثالث استعداداً لحضور أوبرا بورتيغي وانتظرت.. بتوتر واثارة مترقبة.. وصوله الى طاولة المايسترو.

وحالما انطفأت الأنوار وصل بسرعة الى مكانه حتى قبل أن تدرك ناتاشا ذلك.

قطع التصفيق العارم بحركة للفرقة بدأت على أثرها بعزف اللحن الأول

من أوبرا توسكا.

وبعد ذلك غرقت ناتاشا مجدداً بذلك العالم الساحر وعيونها تراقب باندهال وانبهار ما كان يجري أمامها على المنصة، لكن شعورها بالسيطرة الكاملة للرجل خلف طاولة المايسترو لم يفارقها للحظة.

القوة الهائلة والطاقة المتدفقة بالاضافة للتوازن التام والمرونة الكاملة العرض الصافي البراق لمضمون الأوبرا كان شيئاً لم تختبره ناتاشا من قبل. لم تعرف بالضبط مصدر التأثير الهائل لقوة المايسترو الحقيقية بهكذا عمل الا حين شاهدت ذلك بأم عينها.

«انه عرض فريد. غريب كيف يستطيع روتسو وبعبقرية العمل الواحد الى شيء جديد براق ومشع، فمع أنني حضرت الأوبرا هذه عدة مرات لكن وجوده كمايسترو الآن لها يجعلني أشعر وكأنني أحضرها فعلاً وللمرة الأولى» علّق أحدهم من الصف الأمامي.

«انها يده اليسرى الذهبية. فقط راقب تلك اليد اليسرى» علّق رفيقه.

وهكذا وجدت ناتاشا نفسها تراقب اليد الجميلة بأصابعها الصلبة الطويلة وهي تعطي التعليمات لبقية أعضاء الفرقة.. وفهمت ما كان يقصده الرجل الجالس أمامها. بحركات يده المرنة الواثقة كان خوليو روتسو يؤمن لب العمل وكان ينقل بحركات يده كل ذرة من شعور الى فرقته.

نسيت ناتاشا كرهها له، نسيت أنها ومنذ أقل من ٤٨ ساعة كانت تنظر اليه بازدراء وكره لانتقاده لرون. لقد رأته الآن على حقيقته، عبقري رائع يمسك خيوط العرض بين أصابعه وبتلك اللحظة كادت أن تشعر أنها تحبه للطريقة التي ينقلها بها الى عالم السحر والروعة.

وجدت رون بفترة الاستراحة وبدوره بدا تحت سحر روتسو.

«انه شيطان غير معقول. بوصفي رجل رأيت الكثير منه تلك الليلة الا أنني سأرفع له قبعتي بتحية مع أنني كنت لأضربه على فكه تلك الليلة» قال رون.

«أعرف ما تقصده! كنت أجلس هناك وأفكر بنفس الطريقة» اعترفت ناتاشا.

«حسناً لربما علينا اذن أن نسامحه لكونه هكذا.. وهكذا..» قال رون

بابتسام:

«كلا، المسامحة أمر يختلف. لا يمكنني أن أسامحه على شيء اقترفه ونطق به. لكني أتقبل ذلك كجزء من شخصيته. أستطيع.. أن أكرهه كرجل لكني أعبده كفنان. الأمران مختلفان كلياً».

«انك على حق. حسناً، أبقي رايتك مرفرفةولا تدعيه يزعجك كثيراً. ألن تخرجي برفقتي هذا المساء؟» سألها رون.

«كلا، لا يجب أن أفعل.. حقاً».

«حسناً. هل ستدخلين الكواليس لرؤيته؟».

«آه، لا، لا أعتقد ذلك».

«حسناً، في حال فعلت فأنا سأودعك الآن. سأعود الى البلدة غداً هل أوصل سلامك الى العائلة» وأحنى رأسه طابعاً قبلة على شفاهها.

«آه، أجل، أجل! لهم جميعاً. وأخبرهم عن مدى اشتياقي لهم وقل لهم انني أعمل بجد وأنا أعمل بقوة حتى يصبحوا فخورين بي يوماً ما. و.. اذا عرفت هوية من قدم لي هذه الفرصة الرائعة ـ قل له أو قل لها ـ أنني سأبقى ممتنة طوال العمر له أو لها مهما فعل خوليو روتسو بي».

«أيتها الفتاة العزيزة سأفعل» وعدها بابتسام ثم رن جرس نهاية الاستراحة فافترقا كل الى مقعده.

خلال الفصل الثالث هذا اختبرت ناتاشا مجدداً شعور الاثارة، الانبهار والروعة وهي تراقب خوليو روتسو والتعابير التي كانت تظهر على وجهه الوسيم ثم وعند النقطة الحساسة في المقطع والتي سارت بشكل أروع من أي وصف رأت وجهه يشع بابتسامة وفكرت فجأة.

«لكم يحب عمله! لهذا بإمكانه قيادة العرض بتلك المسحه الرومانسية العظيمة. رغم كل عجرفته فإنه يعطي العمل كل ما عنده كالعاشق المستبد المتيم».

كانت هذه نظرة جيدة ومثيرة عن خوليو روتسو ـ العاشق المستبد المتيم ـ فكرت ناتاشا وهي تراقب الآن البطل وهو يؤدي الدور النهائي.

لقد سبق لها وأن سمعت هذا الأداء لعشرات من المرات في السابق لكن هذه الليلة تفتحت كتلابيب الزهرة لدرجة أنها شعرت وكأنها تسمع هذا

الفصل للمرة الأولى. وأدركت أن بطل الأوبرا الموهوب والناجح قد تشذب وأدّى وفق تعليمات المايسترو فأصبح كل شيء بصوته واضح للسمع وكل نبرة من غنائه كانت كالكريستال.

«أستطيع أن أزحف اليه على ركبتي!» فكرت ناتاشا بالنهاية.

وهي لم تكن تقصد بالطبع بطل الاوبرا مع انه هو بالطبع من حظي بالتصفيق النهائي.

وبنهاية العرض تماماً وفيما استدار خوليو روتسو للمغادرة رمى ناتاشا بنظرة وأشار لها لتتبعه الى الكواليس.

فعلت ناتاشا ذلك فوراً وأدخلها الحارس فوراً وقال: «السيد روتسو في الغرفة رقم ١».

فسارت الى الغرفة المذكورة ودقت الباب ببعض القوة.

«ادخل» جاءها صوته العميق.

وحين دخلت وجدته يجلس خلف المرآة يسرح شعره الداكن وعيونه لا تزال تلمع بالإثارة مع انه بدا مرهقاً بعض الشيء.

«أهلاً...» قال وقدم لها كرسي: «كيف وجدت الأمسية؟».

«كنت رائعاً».

«أوتعرفين الكثير عن ذلك. الى أية درجة تعتقدين نفسك قادرة على تقييم القيادة الموسيقية للفرقة؟».

«انها يد يسرى جيدة. لقد اكتشفت ذلك» ردت ناتاشا.

فاستدار فوراً وعاد اليها والمنشفة بين يديه.

«كيف عرفت ذلك؟» سألها بدهشة واضحة.

«لقد.. لقد سمعت أحدهم يقول ذلك. فراقبت ورأيت ذلك بنفسي».

أرخى رأسه الى الخلف وضحك بصوت مرتفع ففكرت ناتاشا «انه بالغ الوسامة لدرجة غير عادلة».

ثم ربت على خدها بحدة بأصابعه المبللة وقال: «انت تتعلمين. ما

رأيك ببورتيغي؟».

«رأيي بها؟ انها بكل بساطة رائعة، اليس كذلك؟».

«أجل. كانت ببساطة رائعة هذه الليلة».

«أتساءل ان كان سيعتبرني يوماً رائعة هكذا؟» فكرت ناتاشا بألم.

بتلك اللحظة سمعا طرقاً خفيفاً على الباب تلاه صوت جوليا بورتيغي الجميل. «مايسترو هل بإمكاني الدخول؟ هل انت لائق الملبس؟».

«بما فيه الكفاية».

كانت لا تزال برداء الاوبرا البراق وحالما دخلت الغرفة نهضت ناتاشا بغريزية وأفسحت لها المجال.

«يا عزيزي... ماذا بإمكاني أن أقول؟ كنت رائعاً الليلة».

«انت كنت رائعة أيضاً».

«لا بأس كلانا كان رائعاً. نحن جيدان كل بمفرده وحين نجتمع نصبح الأفضل بالمطلق. يجب أن نكون سوياً... سوياً أكثر خوليو».

«قد نقتل بعضنا البعض حينها» ولامس وجنتها بحنان وإغاظة محببة.

وهي تراقبهم شعرت ناتاشا بالانعزال. بدا انهما لا يحسان بوجودها أصلاً. لكنها كانت مخطأة بهذا على الأقل. هو لم يكن قد نسيها كلياً فقد استدار وذراعه حول جوليا بخفة وقال.

«لا أعتقد انك قد قابلت من قبل تلميذتي، ناتاشا برايت!».

«تلميذتك؟...» رددت المغنية وهي ترمق ناتاشا بنظرة متفحصة سريعة: «لم أكن أعلم أن لك تلاميذ».

«لا يكون لي... عادة» أجاب.

«هل هي ذات موهبة خاصة جداً اذن؟» سألت جوليا.

«هي تبدي لمحات من وعد أحياناً. وبأحيان أخرى أعتقد انني فقط أضيع وقتي».

«هذه ليست من عادتك... تضييع وقتك».

«حقاً؟».

«انها فتاة محظوظة أن تكون تلميذتك! يا الهي كنت لأقدم روحي مقابل هكذا فرصة وأنا بمثل سنها! على ما أظن... انها تعبدك؟».

«عليك أن تسألي ناتاشا نفسها عن ذلك».

«حسناً؟» قالت جوليا وهي تنظر الى ناتاشا: «لا داعي لهكذا سؤال صحيح؟ نحن نعمل له... نحن نعبده».

«أعتقد يا سيدتي انني لست من النوع الذي يعبد أحداً. أنا معجبة ـ وحتى أعظم ـ السيد روتسو على عبقريته. لكني لا أعبده كشخص وأعتقد انه سيشعر بالارتباك لو فعلت».

«آه. أحتاج للكثير الكثير حتى أشعر بالارتباك».

«انها باردة. انت لن تصنع منها فنانة اذا ما بقيت الصغيرة على هذا البرود» قالت جوليا.

«سنرى. ما كان عليك أن تضغطي عليها جوليا. انها صريحة... وهي ليست معجبة بي».

«آه... اعجاب؟. المرء لا يعجب بك يا حبي. المرء اما يحبك أو يكرهك. أحياناً يحبك ويكرهك بنفس الوقت».

«حسناً يا جميلتي الحساسة سنترك هذا السؤال للوقت الحاضر. اذهبي وغيري ملابسك الآن وإلا تأخرنا على العشاء».

مطت فمها باحتجاج مرح لكنها خرجت بدون أن تلقي ولا بمجرد نظرة على ناتاشا.

حين أغلق الباب خلفها قال: «من الأفضل لو تغادري انت أيضاً ناتاشا. لقد تأخر الوقت. واذهبي مباشرة الى المنزل! لا مجال للتسكع مع الشاب الجلف من تونغا!».

«هل عليك أن تجعل الأمر يبدو مهيناً هكذا؟» سألته بغضب.

«هذا ضمان ضد تهديد جوليا. لا أتحمل أن أكون محاطاً بتلميذة

عاشقة كما تعلمين».

«لا داعي لتقلق بهذا الشأن. أنا حتى لست معجبة بك كما سبق وقلت. واذا كانت السيدة بورتيغي على حق بقولها ان المرء إما يحبك أو يكرهك... فأنا أعرف تماماً مع أي طرف موجودة».

استدارت لتغادر مدركة أن هذا أفضل ختام لكلامها لكنه استدار وأمسك بها مانعاً اياها من التحرك مما سبب لها الدهشة والخيبة.

«حسناً، مع أي طرف انت ناتاشا؟» سألها وذراعيه حولها بقسوة.

«وماذا تعتقد انت؟».

«أنا أتساءل عن ذلك أحياناً» أجاب وأحنى رأسه مقبلاً اياها.

«كيف... كيف تجرؤ على القيام بشيء كهذا؟» سألته وعيونها متوسعة وحانقة: «أنا لم أقل أبداً أن بإمكانك تقبيلي. أنا لم أرغب بـ...».

«آه، بحق السماء! لا تكوني ميلودرامية بشأن هذا. القبلة لا تعني شيئاً بعالم المسرح. لا داعي للبطولات. هيا اركضي فوراً... الى منزلك لقد تأخرت بدوري بما فيه الكفاية».

استدار مبتعداً وشعرت بالغضب يتحرق داخلها ومعه شعور من الخيبة لم تعرف كنهه وهي تغادر الغرفة. العديد من الاشخاص كانوا يتحلقون في الممرات وبعضهم أخذ يرمقها بفضول لخروجها من غرفة الرجل العظيم.

لكن ناتاشا بالكاد لاحظتهم وهي تمر نحو باب الخروج.

«اذهبي مباشرة الى المنزل» أمرها واعتقدت أن هذا ما ستفعله. لكن ولسبب ما اشتعل التمرد داخلها ووجدت نفسها تغادر المسرح وتقف قرب باب الخروج تحت احدى الاشجار بانتظار خروجه.

مجموعات من الناس كانت موجودة خارج الباب أيضاً بانتظار خروج المغنيين والموسيقي البارع.

رأت المغني يخرج أولاً. يوقع بعض الدفاتر للمعجبين ثم يبتعد

بسيارته.

«ها هي!» علا الهتاف بين الجموع ولحظات وظهرت جوليا بورتيغي الساحرة بأناقتها المميزة على باب الخروج وخلفها خوليو روتسو.

كان يبتسم ومزاجه ممتاز كما يبدو مع أن ناتاشا كانت بعيدة ولم تسمع ما كان يقول لكن لا شك أنه قد تفوه بنكتة ما لأن الضحك ارتفع من الجميع ورمته جوليا بابتسامة براقة.

«أنا لا أتحمله» قالت لنفسها: «كنت لأقتله حين قبلني بتلك الطريقة العادية المهينة».

حين تحرك الاثنان أخيراً وأصلح هو من وضع الفراء حول أكتاف جوليا وجدت ناتاشا أظافرها تكاد تغرز بلحم كفاها. كانا داخل السيارة الآن، وخوليو روتسو خلف المقود وأخذت الجموع تتفرق وناتاشا بمكانها هناك دون أن ترى شيئاً أمامها الا هذين القريبين من بعضهما البعض بحميمية مبتسمة. وخطواتها تسير ببطء على الرصيف سمعت صوت توقف السيارة قربها وسمعت صوته الصلب العميق يقول لها عبر زجاج النافذة النصف مفتوح.

«اذهبي الى المنزل فوراً ناتاشا. أنا لا أتوقع أن أكرر أوامري مرتين».

وتابع سيره وجوليا المبتسمة الى جانبه وظلت ناتاشا وحدها في الشارع الذي أصبح فجأة مهجوراً ومظلماً.

انطلقت فوراً الى المحطة ثم الى مسكنها. الجميع كانوا نياماً. حتى لوليتا. فصعدت ناتاشا الى غرفتها وشعور من الاحباط يسير عليها وشعرت برغبتها العميقة بالبكاء فبكت دون أن تعرف الدافع لذلك.

نهضت بعد قليل وأخذت تخلع ملابسها وتحاول أن تحلل سبب شعورها هذا.

«العرض كان رائعاً» قالت لنفسها: «يجب أن أشعر بالسعادة.. أو على الأقل بالفرح. جوليا بورتيغي رائعة بكل معنى الكلمة. هي لم

تحبني أجل، ولكني لم أحبها بدوري. لكن هذا أمر لا يهم».

وضعت بيجامتها عليها وتابعت: «ما كان علي أن أثير كل تلك البلبلة حول تقبيله لي علي ما أظن. فهو محق تماماً بقوله ان القبلة لا تعني شيئاً بعالم المسرح. ولا تلك القبلة في الاستوديو تعني له شيئاً أيضاً».

لكن بدلاً من أن يشعرها هذا التحليل بالراحة فقد ازداد احباطها.

«الشخص يشعر... بالتعاسة حين يعود الى المنزل بمفرده... خاصة حين يذهب الآخرين سوياً لتناول العشاء والاستمتاع. أتساءل الى اين ذهبا. هو لم يطلب منها الخلود للنوم باكراً. لكني أظن أنه حين أصبح بمركز جوليا بورتيغي فسيحق لي بعض الراحة. انها تتصرف بتملك كامل فيما يتعلق به. او لربما هي تقبل كل شخص بتلك الطريقة كلا، لا أظن ذلك. هو فقط. آه، ما الذي يهمها من ذلك على كل حال؟».

خلال الأسابيع اللاحقة تقلبت ناتاشا بين مشاعر السعادة واليأس وهي تدرك تماماً الحياة الجديدة التي بدأت بها.

في البداية كان هناك تحسناً واضحاً مع ان جلساتها مع خوليو روتسو كانت مؤلمة. لكن الآن وبهذه المرحلة أخذت تشعر بعدم الثقة بنفسها. وكلما جاهدت للحصول على موافقته ورضاه كلما شعرت أن هذا كان أملاً مستحيلاً.

«لا تعذبي نفسك بهذا الشأن» حثتها راندا بيور بوقة حين كانت ناتاشا تتخبط بأعماق اليأس: «الأمر هكذا مع كل واحد هنا. في البداية تشعرين بالدهشة للأشياء التي تتعلمينها بسهولة. فلست الوحيدة التي تشعرين بذلك، أؤكد لك هذا. بعد فترة ستبدأين بالشعور بالتوازن بين الضعف والقوة. انت تسيرين بشكل جيد جداً بأدائك في الواقع».

كان قد تدبر لها الآن أن تحضر بعض دروس التمرين في دار الاوبرا لكنه كان نافذ الصبر بشكل فظ في حال فضلت بالتوصل الى الاستنتاج

الصحيح لما تشاهده وتسمعه.

«انت مقاومة وبشكل مذهل لبعض الاكتشافات البسيطة» أخبرها على الفور: «بدأت أتساءل عن سبب ازعاج نفسي بتعليمك».

«بسبب المال على ما أظن» ردت بغضب.

«اي مال؟».

«المبلغ الضخم من المال الذي افترض انك تتقاضاه مقابل تعليمي».

«آه، ذاك».

«قد تنساه انت لكني لن أفعل أبداً. ولا لمجرد لحظة واحدة أكره بشدة بعض النقاط بتعليمي... ولا داعي لاخبارك عن أية نقاط بالذات أتحدث. لكني أعرف انه تعليم من الدرجة الأولى، وسأكون ممتنة ليوم مماتي للرجل الذي أعطاني هذه الفرصة».

«يا لكم هذا مؤثر. لكن العمل الجاد والذكاء يفيدون أكثر من الاخلاص العاطفي المحض أتعرفين. لنعد الى الامور الهامة فعلاً. فهذه هي الطريقة الأفضل لتظهري امتنانك للرجل المحترم الذي تتحدثين عنه».

«لماذا تكره رون لهذه الدرجة؟. انت دائماً تتكلم عنه بتلك الطريقة المغيظة المزدرية!».

«أنا؟. ليس عندي أدنى شعور نحو رون بلوكيو خاصتك هذا، بطريقة أو بأخرى. طالما انه لا يبعدك ويشاغلك عن هدف وجودك المصيري».

«وهدف وجودي المصيري، بوجهة نظرك، هو أن أصبح مجرد مغنية؟».

«لا تقولي «أن أصبح مجرد مغنية» بتلك الطريقة» قال بغضب مفاجيء: «لتصبحي مغنية... هو أن يكون هناك مبرر لوجودك من الأصل. ان تجيبي السماء على الهبة التي خصتك بها، وأن تلمسي

www.rewity.com AHEENE

بالنهاية بأصبع الخلود. والآن لتتابع الدرس» وهكذا تابعا الدرس.

وبالرغم من الصراع العاطفي بينهما والذي كان يترك ناتاشا بلا قوة الا انه كان فعلاً يلهمها ويدفعها لأن تعطي أفضل ما عندها.

«أحياناً» اعترفت للوليتا: «أعتقد أنه اذا طلب مني الصعود الى الجهة الأخرى من المنصة في دار الاوبرا فإنني سأحاول وأنجح بذلك».

«سيجدك أكثر أهمية من مجرد ذلك على ما آمل» ردت لوليتا بضحك.

«وسيكون الامر بنفس الصعوبة» ردت ناتاشا بتنهد. وقد تحققت نبؤتها صباح اليوم التالي بالضبط.

كان هذا ضمن تمرين أرادت أن تحضره. اوبرا عطيل كانت ستعرض مجدداً ولكن بوجود خوليو روتسو كمايسترو هذه المرة وكانت هي متلهفة لأقصى درجة لقيادته لهذا العرض الذي سحرها.

جلست طوال النهار بدار الاوبرا المظلم الشبه فارغ دون أن تشعر بأي شخص وبأي شيء سوى بالرجل الذي يقف خلف طاولة المايسترو. تمنت بعمق لو أن المغنية بدوز ديدمونة كانت أفضل. لكنها أدركت أن المغنيات الجيدات لا ينمون تحت الاشجار وأن عليهم الاكتفاء بالآنسة انطوانيتا فرانشي التي سبق لها وقامت بهذا الدور في المرة السابقة.

بالطبع جعل خوليو روتسو من الفتاة مؤدية أفضل بكثير عما كانته في العرض السابق. لكنها كانت، كما لاحظت ناتاشا، ضعيفة من الأساس وبدا من الواضح أن صبر خوليو معها كان آخذاً بالتقلص. ويبدو أن الفتاة أدركت ذلك بدورها لأنها أصبحت متوترة جداً بغناءها محولة الجمال بشاعة وقبل انتهاء الفصل الثاني أعلنت انطوانيتا فرانشي انها لا تستطيع المتابعة.

كل شيء كان ضدها، انتحبت الفتاة ـ حنجرتها ـ رأسها ـ أعصابها

ونظرت والدموع بعينيها الى طاولة المايسترو.

وقف الفنانون الآخرون بلا هدف وأشار المدقق الى خوليو روتسو للاقتراب.

لكن الموسيقي الشهير لم يفعل ذلك. بدلاً من ذلك نظر الى المقاعد المظلمة وصاح.

«ناتاشا، هل انت هنا؟».

«أ.. أجل سيد روتسو» قالت ونهضت من مكانها مقتربة بسرعة منه.

«اصعدي على المنصة هناك وتابعي الفصل الأخير».

«على وعلى المنصة؟. أتقصد لدور ديدمونة؟».

«لم أكن أقترح أن تقومي بدور عطيل بالطبع. بسرعة الآن. لقد حظينا بما يكفينا من الاحباط، التأخير لليلة واحدة».

«لكني لا أستطيع أن أفعل ذلك. لم يسبق لي أن اعتليت المنصة من قبل. وأنا...».

«هناك دوماً مرة أولى لكل شيء».

«لكن ليس هكذا. بدون أي تحضير سابق لا يوجد أمامي أية فرصة لـ...».

«افعلي ما أقوله لك. ولا تقومي بكل هذه البلبلة» ثم استدار نحو المنصة وتابع: «آسف لأنك لست على ما يرام سينيورا. اذهبي الى المنزل وعالجي حنجرتك الجافة. سأتابع الفصل. ماكس هل انت هناك؟».

المنتج ماكس فاغن، ظهر من جانب المسرح وهو يبدو قلقاً ومترقباً.

«ها هي ناتاشا برايت. بإمكانها القيام بالفصل الأخير. هي تعرف الدور الغير صعب مطلقاً».

«أرجوك... أرجوك أنا لا أستطيع».

«تستطيعين وستفعلين. لماذا تعتقدين انني كنت أطرق رأسك بذلك التكتيك والنمط الخاص منذ أسابيع وأسابيع؟ اصعدي الى المنصة وقومي بدور ديدمونة. واذا لم تنجحي الآن فأقسم انني سأخنقك بنفسي بعد أن ينتهي عطيل من ذلك».

«أتظن أن هذه هي الطريقة المثلى لتشجيعي؟» قالت والدموع تكاد تنحدر من عيونها.

ثم، وبتحولات مزاجه الغريبة التي كانت تحيل اعتراضها. أمسك فجأة بيديها وابتسم لها.

«افعلي ذلك من أجلي يا فتاتي. أنا بحاجة ماسة لك بهذه اللحظة».

«لا بأس. سأبذل قصارى جهدي».

اتجهت الى المنصة حيث كان ماكس النصف محتار والنصف قلق بانتظارها.

«حاولي الا تشعري بالخوف. تذكري أن الجميع سيكون أكثر من شاكر لك اذا ما أديت الدور مجرد تأدية وإلا فإن متابعة التدريب للباقين ستكون مستحيلة».

«لكن بالطبع كان يجب أن يكون هناك بعض المراجعة والتمرين على الدور؟» احتجت: «كيف حدث ان كل شيء فجأة صار يعتمد علي... وأنا ليس عندي أدنى تجربة مسرحية؟».

«لأن البديلة مصابة بالانفلونزا» أوضح المنتج باختصار: «والآنسة تعرف ذلك جيداً! كانت تتلاعب بنا بالفترة الأخيرة أتعلمين. هي تكره روتسو لأنها تعرف أنه يعتبرها مغنية ضعيفة وتعتبره شيطاناً. الآن تعالي معي وسأريك موقع أو اثنان للمنصة. لحسن الحظ هناك القليل فقط من الحركة بهذا الفصل وستبلين جيداً. أنا واثق من ذلك».

صعدت الى المنصة العارية معه واستمعت بانتباه لتعليماته والمكان الواجب عليها التواجد به.

الفتاة التي كانت تقوم بدور اميليا ابتسمت لها بمودة وقالت:

«سأساعدك. وانه مجرد تمرين بعد كل شيء».

«لكنه تمرين مع خوليو روتسو» فكرت ناتاشا ونظرت الى ناحيته بقلق.

كان ينحني على الطاولة ويتكلم مع قائد الاوركستر ثم رفع نظره وسأل: «مستعدون؟» وتفرق الجميع باستثناء اميليا وناتاشا.

بشيء بين اليأس والحاجة نظرت الى طاولته ومجدداً تلقت تلك الابتسامة الرائعة المشعة التي رأته في السابق يوجهها للآخرين لكن ولا مرة لها هي بالذات.

«هذا جزء من تكتيكه لجعلي أنفذ ما يريد والابتسامة هذه لا تعني شيئاً فعلاً» قالت لنفسها.

أولاً، وبسبب توترها بالكاد سمعت شيئاً. لكن فجأة هبط عليها سحر الغناء مع فرقة موسيقية كاملة للمرة الأولى. بدا وكأن العالم بأسره قد فتح أمامها بآفاق بلا نهاية وفيما صوتها يحلق بأعالي دار الاوبرا شعرت وكأنها من تحلق أيضاً... كروح متحررة من الروابط الانسانية الأرضية.

لم يحدث لها شيء كهذا من قبل أبداً وشعرت بالارتقاء الكامل وكانت لتفلت من العقال الفني لولا ملاحظتها للسلطة الحديدية والتوجيه المرن للرجل خلف طاولة المايسترو.

لم تنتبه أبداً أن عدداً كبيراً من الناس تجمع قرب المنصة للاستماع اليها أو أن ماكس ضم يديه معاً وكأنه يشكر السماء على نغمة كريمة.

حالما انتهى اللحن الأخير للأغنية الأخيرة انفجر تصفيق قوي من الاشخاص قرب المنصة. لكن هذا توقف فوراً وفق أوامر المايسترو ونظراته المرعبة والحانقة التي ذكرت ناتاشا أن أغنيتها الوداعية لاميليا يجب أن تظهر خوفها العميق والهائل لموتها القريب.

وصرخت بصوت بقوة كاملة ولكن بتأثير موسيقي واضح مغنية وداعها الأخير لاميليا.

لكنها لم تتقبل سوى انحناءة بسيطة من المايسترو لكنها أدركت أنها قد قامت بما أراده منها وبطريقة صادقة وحسية سقطت على ركبتيها لتغني «الأفمياريا».

هذا كان أسهل على كل حال. تعبير طبيعي عن آمال الفتاة ومخاوفها. المحتوم عليها بالموت. وبالنهاية شعرت ناتاشا بالهدوء وكأن ديدمونة قد سلمت روحها للسماوات.

خلعت حذاءها واستلقت على سرير المنصة وحالما دخل عطيل الى المكان حاولت.. كما أخبرها خوليو روتسو مراراً وتكراراً... أن تبقي عقلها وفق حدود الدور فقط.

مشهد الموت كان رغم كل شيء مشهداً مرعباً ومخيفاً لكنه يختلف بالطبع عن تجربتها السابقة تلك في استوديو خوليو روتسو لا شيء بصوت الممثل عطيل ونبرته حمل خوف ورعب اللحظة التي شعرت بها مع خوليو روتسو.

لكن المشهد الأخير سار دون أخطاء وبالنهاية علا التصفيق المدوي. هذه المرة والذي لم يوقفه المايسترو هذه المرة. العديد من الاشخاص اقترب من ناتاشا مهنئاً والممثل نفسه سألها أين كانت تختبىء طوال هذا الوقت.

«أنا مجرد تلميذة» قالت بخجل: «أنا... أنا أدرس عند السيد روتسو. لهذا كان يعرف أنني أعرف الدور».

«المسألة ليست مجرد مسألة معرفة الدور» علق الممثل: «عندك شعور فطري للدور. شيء لا يستطيع المرء تعلمه أو اكتسابه تهانينا سينيورا».

«اه، شكراً لك» قالت ناتاشا الغير معتادة على هكذا اطراء دون أن تخفي سعادتها. لكنها كانت تنتظر حكماً مصيرياً واحداً بترقب وقلق وحين اقترب خوليو روتسو من المنصة ركضت اليه بلهفة قوية لم يسبق لها وأن أظهرتها أمامه من قبل.

«أكان الاداء.. جيداً؟».

أمسك بوجهها برقة بين راحتيه و... قبلها.

«أجل كان جيداً».

واستدار ليناقش بعض الامور مع ماكس المنتج وظلت هي مكانها محاولة الا تظهر الذهول الذي كان يعتريها.

الكل كان يتفرق من حولها الآن. الفرقة الموسيقية كانت تجمع آلاتها والممثلين المغنين يذهبون الى غرف الملابس. وحدها ناتاشا ظلت واقفة مكانها... الى أن أدركت فجأة أن الحاجة اليها قد انتهت وأنه أحرى بها أن تغادر.

لكن بعد أن استدارت لتغادر أدار الموسيقي الشهير نظره اليها مقاطعاً حديثه مع المنتج وقال.

«انتظري قليلا ناتاشا. من الافضل أن ترافقيني لتناول الغداء. أريد التحدث معك».

ولهذا فقد عادت لتنتظر مجدداً. وحين أعلن أنه مستعد غادرا الدار سوياً وهو غارق تماماً بالتفكير لدرجة أنه لم ينطق بكلمة واحدة.

حين وصلا الى السيارة تمنت أن يعلق بالتفصيل على ادائها ـ على الأقل الجميع غيره فعل ـ لكن بدا أن عليها الاكتفاء فقط بحكم «كان جيدا» وبتلك ـ تلك القبلة.

أخبرهم النادل باحترام شديد عن أفضل اختيار كغداء. إما أن خوليو روتسو لم يكن مهتماً أم أنه كان يثق برأي النادل المسن لأنه قال بمرح.

«أي شيء تقوله. لكن ذوق الآنسة الشابة ليس مدنياً على ما أظن».

ثم حين ابتعد النادل اتكأ بذراعيه على الطاولة ونظر مباشرة اليها.

«كم تعرفين من دور ديدمونة؟».

«ماذا؟ أعرفه بأكمله»..

«بأكمله؟ لا أقصد ما قد قرأته وشاهدته! أقصد هل تعرفينه بالطريقة

الواجب عليك معرفتك بها بالعيون والمشاعر والذي ببعض التوجيه والتعليمات ستتمكني من أدائه بأكمله؟».

«أعرفه بشكله الكتابي الكامل. واذا كنت تعتبر ما أديته على المنصة «معرفة» للدور ـ فإذن أنا أعرفه بأكمله. هل يجيب هذا على سؤالك؟».

لم يجيب على الفور. بل ظل يضرب أصابعه على الطاولة بلحن رتيب فيما النادل يضع الصحون والأطعمة أمامهم. ثم بدا وكأنه مصمم على ترك متابعة النقاش لوقت آخر.

لكن هذا ما لم تتحمله أعصاب ناتاشا التي نظرت اليه بجرأة وسألت:

«لماذا طرحت هكذا سؤال؟ هل عندك... هل عندك فكرة ما حول قيامي أنا بهذا الدور؟».

«أنا أحاول أن أقرر ناتاشا. قيامك انت بالدور يُعد أمراً مغرياً للغاية. أو بالأصح الاصرار على قيامك بالدور هو الامر المغري... لأن علي بالبداية شق طريق صعب وشاق وسط العديد من المعارضات. لكن المخاطرة بنفس حجم ونوع الاغراء».

«تقصد انك تعتقد انني سأفشل وأفسد كل شيء؟».

«كلا، كلا. طالما أنا المايسترو فسأقوم بإرشادك وقيادتك، الفرص هي أنك ستقومين بأحاسيس ثانوية. هذه هي المخاطرة».

«لا أعتقد... انني أفهم».

«بالطبع لا. وكيف ستفهمين؟ لكن اذا نجحت فستحظين بكم هائل من الدعاية. انها القصة المفضلة. فتاة تنبثق الى الشهرة بظرف ليلة واحدة. عندها كل مدير اوبرا بدون ضمير ـ والذي يشمل معظمهم ـ سيتلهف لاستغلالك. ستحظين بعروض مغرية كثيرة أؤكد لك ذلك. واذا ما رغبت حينها بإدارة ظهرك لي قائلة: «شكراً لك سيد روتسو لقد أصبحت مغنية» فستكون هذه بداية لثلاثة سنوات من النجاح الرخيص

لك ـ ونهاية لواحدة من القلائل من المواهب الصوتية الفريدة التي سمعتها خلال هذا العقد من الزمن».

«ولماذا تعتقد أنني سأدير ظهري لك؟».

«انت أولاً لا تحبينني. وأنا مدرك انني ليس معلماً سهل العطاء. اذا تركتني فستحظين بأدوار للبطولة والنجومية. أما اذا بقيت معي فسأمنحك فقط الادوار الثانوية البسيطة والسائغة حيث ستحظين بالتصفيق فقط لغنائك الصرف. فقط حين يصبح صوتك متكاملاً وتنتظم أوتارك الصوتية بنظام كامل سأسمح لك بأداء الادوار الاولى التي ستجعلك تستمتعين بكونك ممثلة بما انك مضمونة تماماً كمغنية».

«اذن ما الذي دفعك لمجرد الاقتراح أن أقوم بدور ديدمونة الآن؟».

«أولاً لأنني أرغب بأن أشاهدك تقومين بالدور. والغناء سيكون متكملاً تماماً معك بما انني من سيقود الموسيقى. وثانياً لأني أعرف أن انطوانيتا فرانشي ترغب بحشري بالزاوية. فهي مثلك لا تحبني. لكن بعكسك، عندها طريقتها الخاصة بالانتقام. هي ستكون «مريضة» أو «مستقيلة» بعد وقت قصير من الآن أنا واثق من ذلك، لاعتقادها أن ذلك سيفسد حفلتي وعرضي».

«لكن هناك البديلة اليس كذلك؟».

«وكم من ديدمونة من الدرجة الأولى برأيك يوجد في الجوار وهن على أتم الاستعداد للقيام بالدور؟» رد بجفاف: «حين كنت صغيراً ناتاشا ـ كان بإمكانك ايجاد العشرات من المغنين الاكفاء للقيام بدور فيردي. الآن عليك التفتيش بكل أوروبا عن مغني فيردي واحد جيد. أوتعرفين السبب؟».

هزت رأسها بالنفي ونظرتها المنبهرة مركزة عليه.

«لأنه كلما أطلت مغنية ناضجة برأسها من على خشبة الاوبرا توصف فوراً بأنها ماريا كالاس الجديدة ويتم بالتالي استغلال مواهب المسكينة النصف مطبوخة بدلاً من تطويرها وايصالها الى درجة الكمال. هناك

بريق من النجومية والشهرة والصاروخ ينطلق الى الأعلى... ثم بعد هذا يسيطر الظلام والانطفاء. أحياناً كنت أشعر برغبتي بالبكاء على ذلك.. والناس يطلقون علي أنا لقب الرجل القاسي».

«أتريدني أن أقوم بإعلان ما أو ما شابه؟».

«ماذا تقصدين؟».

«أقسم بشرفي وأعلن انه، مهما كانت العروض مغرية، الا ابتعد عن تعليماتك وارشاداتك الى أن تطلب انت مني ذلك».

«يا الهي. تبدين وكأنك تعنين ذلك بصدق».

«أنا كذلك فعلاً».

«مع انك تعتقدينني... ما كانت الكلمات؟ اكثر الاشخاص بغضاً وعدم احتمالاً من كل الذين رأيتهم بحياتك؟».

«هذا موضوع اخر. انت الشخص الوحيد الذي أثق به من الناحية المهنية الصرفة. أنا أعرف أنني محظوظة ولدرجة خيالية بكونك بالذات مهتم بعملي. سأحتاج لأكثر من عرض مغري من قبل مدير جاهل لأبدل رأي وأتخلى عما أعتبره أغلى كنز وأفضل فرصة حدثت لي بحياتي كلها».

«فهمت» قال ومد يده اليها عبر الطاولة ببطء وضعت يدها داخل يده وتابع هو: «لن أكون متساهلاً أكثر معك بسبب ما قلته للتو وسأطالبك دون رحمة بتنفيذ شروط اتفاقنا هذا. لكن اذا ما نفذت تماماً كل ما أطلبه منك في السنوات القليلة القادمة، فأعدك انك ستغنين بالنهاية كل ما يغنى من الحان بهذا العالم الواسع».

«أنا ـ أنا أظن انني سأبكي اذا ما تابعت التحدث بهذه الطريقة».

«لا تفعلي ذلك. الدموع تسبب لي الضجر. الآن أريدك أن تحضّري هذا الجزء.. معي عند راندا بيور.. وكأنك ستطلبين لتأديته في أية لحظة ضمن تمرين على المنصة أو تمرينين. سأجعلك تمثلين على المنصة كثيراً في الأيام القادمة. إما مع الكورس أو بتأدية الادوار

البسيطة.. أي شيء يجعلك تعتادين على جو المسرح. حتى ولو لم أطلبك أبداً للعب دور ديدمونة فإن التجربة التي ستكتسبينها ستكون بالغة الأهمية».

«لكن اذا اضطرتك الظروف...؟» حثته بنفس لاهث.

«سأدعك حينها تقومين بدورها» رد ببرود.

بعد ذلك رفض كلياً التحدث بالأمور المهنية وانتهى الغداء بعد فترة قصيرة.

بدا غير مهتماً بها. الآن وتركها تعود الى مسكنها بمفردها دون أن يعرض عليها توصيلها بسيارته. لكن ناتاشا لم تكترث لذلك. أرادت أن تكون بمفردها. ان تسير وتسير عبر الشوارع المزدحمة والانعزال يلف مشاعرها المستحيلة.

«لا أكترث كم يزعجني ويحثني بقوة وقسوة. لا أكترث للكمّ من خيبات الأمل والتعب الذي سألاقيه. أعرف الآن أن بإمكاني أن أفعل ذلك.. طالما أنه موجود معي» تمتمت ناتاشا لنفسها وهي تصعد سلم المسكن الخاص.

كانت الأسابيع التالية من أصعب وأكثر الأوقات ارهاقاً وتدريباً مركزاً ومديراً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى. ولو تخيلت للحظة أن اعترافها بالاخلاص التام له سيلطف العلاقة بينهما فهي كانت مخطأة تماماً. فقد أخذ خوليو روتسو يدربها بتصميم وإصرار ليس له مثيل وكانت تعود من التمرين والارهاق يهدها والتعب يأخذ منها كل مأخذ ودروس الغناء مع الآنسة راندا صارت مركزة بدورها وتبخر مرح المعلمة واشتدت حدة صرامتها.

كانت ناتاشا تتدرب على دور ديدمونة ضمن تدريباتها الثانية وكانت تغني مع الكورس أثناء العروض الكاملة للاوبرا. الامل والخوف كان يسكن أحشاء ناتاشا كلما اقترب موعد عرض اوبرا عطيل ويوم الافتتاح حدث شيء ما لم يكن بالحسبان.

احدى الأمسيات وحين كانت تسرح شعرها بتكاسل بعد أن استحمت وارتدت ثوب النوم نادتها ايزابيللا مخبرة اياها أن أحدهم ويدعى رون بلوكيو يريد التحدث معها.

أسرعت ناتاشا الى الهاتف وقلبها يتوجس شراً ولم تنصدم كلياً حين قال رون:

«آسف ناتاشا عزيزتي، لكن عندي خبر غير سار علي اطلاعك عليه. أعتقد أن عليك أن تعرفي أن والدتك مريضة؟».

«أمي؟ انت تقصد ابي دون شك؟».

«كلا، كلا. والدك بأحسن حال وهو يتعافى تدريجياً. لقد نقلناه الى مركز التدليك منذ يومين. لكن لقد أدخلت والدتك الى المستشفى هذا المساء لعملية زائدة...».

«آه، لا أستطيع تصديق ذلك. أمي لم تمرض يوماً من قبل» وتلون صوتها بالبكاء.

«أعرف. هذه هي النقطة. أخشى انها قد كرست نفسها كلياً للإعتناء بكم وبوالدك خلال الأسابيع القليلة الماضية لدرجة انها نسيت نفسها كلياً ولم تلاحظ عوارض المرض عليها».

«آه يا لأمي الحبيبة! كان علي أن أكون موجودة قربها للإعتناء بها» قالت ناتاشا بذنب.

«كلا غير صحيح. انت مشغولة بالقيام بما نريد منك جميعاً أن تفعليه. لكن اذا تمكنت من انتزاع نفسك من العمل والقدوم لمدة يوم أو يومين...».

«بالطبع! رون أخبرني هل... هل الوضع خطير؟».

«الأمر ليس مريح تماماً يا عزيزتي. ومع العلم انها ستشعر بالغضب نحوي بالطبع لاتصالي بك وإحضارك لكني أعتقدها ستكون بالغة السعادة برؤيتك. وأيضاً حرام أن يتحمل ايفان الصغير كل هذا على كاهله وحده. وقبل كل شيء علينا أن نبعد والدك عن القلق. كان على

والدتك أن تراه يوم السبت القادم و...».

«أجل. أجل.. بالطبع من الضروري جداً لي الحضور. سأحضر هذه الليلة لو أن هناك قطاراً...»

«لا يوجد قطار الليلة يا عزيزتي. كنت أفتش عن ذلك. لن يصل أي شيء الى البلدة الا في صباح الغد».

«اذن سأحضر غداً باكراً».

«فتاة جيدة! كنت أعرف انك ستفعلين. أنا شاكر أن بإمكانك الحضور».

كانت ترتعش قليلاً وهي تعيد السماعة الى مكانها وتفكر بما عليها أن تفعله. عليها الاتصال بالمعلمة راندا لإلغاء درس الغد ثم عليها أن تخبر خوليو روتسو انها لن...

ضربة قوية على باب المسكن قطعت أفكارها المضطربة وسارعت لفتح الباب.

«أنا مسرور لأني وجدتك أخيراً» قال خوليو روتسو الذي كان يقف على العتبة بملامحه الصارمة: «عندي بعض الأخبار الطارئة لك».

رمشت عيونها بذهول ودخل دون أن تطلب منه ذلك وحين قال بنفاذ صبر: «أين بإمكاننا التحدث؟».

سارت أمامه بدهشة الى غرفة الجلوس الصغيرة والتي كانت فارغة لحسن الحظ.

«كنت وعلى وشك أن أتصل بك» بدأت.

«آه؟ كيف عرفت بالخبر؟».

«اتصل بي رون بلوكيو».

«رون بلوكيو؟ وما دخله هو بهذا؟».

«انه يسيطر بشكل كامل على الوضع. لا أستطيع الذهاب هذه الليلة لكين سأستقل أول قطار في الصباح و...».

«انت لن تستقلي أي قطار في الصباح أيتها الفتاة. ستكونين في دار

الاوبرا في العاشرة تماماً وسيكون ذلك يوم تمرين كامل لك. ستقومين بدور ديدمونة مساء يوم السبت و. . .».

«لكني لا أستطيع. والدتي مريضة و. . .».

«والدتك مريضة؟» ردد بعدم تصديق: «والدتك مريضة؟ وما أهمية هذا الأمر بحق السماوات؟ فرصة حياتك قد جاءت وعليك التمسك بها بكلتا يديك. وها أنت تقفين هنا وتقولين لي أن والدتك مريضة. ماذا انت بحق الله؟ طفلة تتسلى بالغناء أم فنانة حقيقية؟».

«والدتي بحالة خطرة. هم بحاجة لي في المنزل وأخشى أن. . .».

«الحاجة لك موجودة هنا وليس هناك. آسف بشأن والدتك. لكني فهمت ان رون بلوكيو شهم يسيطر كلياً على الوضع كما قلت. عليهم تدبر أمورك بدونك».

«لا يستطيعون».

«عليهم ذلك. يا رب السماوات! هل تعتقدين اننا قد عملنا بجد لنصل لهذه النقطة لتقولي انك سترحلين؟ ألم تفهمي حتى الآن ماذا تعني كلمة فنانة محترفة؟ العرض يأتي بالدرجة الأولى والأخيرة وبكل الأوقات. افهمي ذلك الآن وابقيه داخل رأسك في المستقبل. بإمكان عائلتك كلها أن تكون مريضة، منزلك قد يكون يحترق لكن اذا ما كان عليك الصعود الى المسرح واداء عرض متكامل فستفعلين! هل هذا واضح؟».

«هناك وقت يجب أن تكون عائلتي به في الطليعة و. . .».

«لا يوجد وقت كهذا» قاطعها وهو يمسك بها فجأة ويهزها بعنف: «هذا ما خلقت من أجله وكل شيء آخر بحياتك يجب أن يكون رديفاً له. لست مجرد مغنية صاعدة عادية. عندك أروع صوت قصائدي سبق لي أن سمعته. . مع انني لم أكن أرغب بإخبارك بهذا الآن. لو كنت من الرجال المصلين لقلت انك الاجابة على أمر صلواتي. هل تعتقدين انني سأسمح لك برمي فرصتك العظيمة هذه؟».

«القرار يعود لي أنا. لا تستطيع أن تأمرني ضد. . .».

«يا رب السماوات؟ وماذا تتوقعين مني أن أفعل؟ أن أتوسل لك؟».

«كلا. . كلا. أقصد أن أقول انه اذا قررت الذهاب فلن تتمكن من فعل شيء لصدي».

«آه، بلى أستطيع» قال وتركها فجأة مما كاد أن يخل بتوازنها وتابع بهدوء جلي: «اذا ذهبت يا عزيزتي فستذهبين بلا عودة. هذه هي كلمتي الأخيرة. اختاري الآن. اما تبقين وتنفذين ما أطلبه منك وبالحرف. . أو تذهبين الى بلدتك ولا تزعجي نفسك بالعودة الى هنا مجدداً. سأكون قد انتهيت منك».

حرك يديه بتعبير وكأنه يمحي آخر علاقة له بها. وهذا ما جذب انتباهها الكلي. حدقت بيديه وصارعت للتوصل الى قرار، هذه اليدان هي التي ستصفعها أو ستكرسها الى الأبد. انهما تعبران على كل شيء بجمالهما وقوتهما وقسوتهما. وفيما هي تحدق بهما ارتفعا الى الأعلى قليلاً بتلميح خفيف عن التوسل. تلك الحركة اللاواعية هي التي أوصلت ناتاشا الى القرار النهائي. لم يكن من داعي لها لتنظر الى وجهه وهي تقول بصوت مرتجف وخافت:

«لا بأس، انت من يربح. سأبقى، ما الذي تريده مني؟».

«كوني في دار الاوبرا غداً في العاشرة صباحاً. سأقرر الباقي بعد أن أشاهد العرض التمريني الكامل. اخلدي الى النوم باكراً حتى تحظين بكل الراحة. ستحتاجين لكل قوتك غداً».

ثم استدار وتركها وظلت مكانها كالتمثال الى أن سمعت صوت الباب يغلق بقوة ودخلت لوليتا الغرفة لتقول بنفس متقطع:

«ذاك كان خوليو روتسو صحيح؟ رأيته وأنا أنزل السلالم ما الذي أحضره الى هنا بحق السماء؟».

«يريدني أن أقوم بدور ديدمونة مساء يوم السبت. . .» بدأت ناتاشا.

«في الكوفنت؟ أنا لا أصدق هذا! لا عجب انك تبدين مصعوقة.

انتظري حتى أخبر الباقيات! جميعنا سيكون في «البلكون» لنصرخ لك ونصفق لك بالطبع! كيف بإمكانك السكوت هكذا ناتاشا؟ ما الأمر؟ هل انت مرعوبة لهذه الدرجة؟».

«كلا ـ على الأقل... أجل بالطبع أنا خائفة. لكن ليس هذا هو الأمر» أوضحت ناتاشا ثم أطلعت لوليتا على مرض والدتها وعن قرارها بالبقاء.

«أنا متأسفة جداً لذلك. لكنه القرار الصحيح الوحيد اليس كذلك؟ أقصد... أقصد أن والدتك قد قامت بكل التضحيات الممكنة لايصالك الى ما أنت عليه الآن. ستخذلينها بشدة اذا ما فرطت بفرصتك الرائعة الآن فقط لأنك لم تتمكن من تحمل قلقك عليها حين كانت مريضة».

«هل هذه هي الطريقة الصحيحة للنظر الى الأمور؟ لربما أنت أكثر حكمة مني لوليتا».

«لا أعرف بهذا الشأن. أظن أنه يسهل عليك رؤية الأمور بوضوح حين لا تكونين متورطة عاطفياً بها. والآن هل بإمكاني القيام بأي شيء لك؟».

«أجل لوليتا من فضلك. هلا اتصلت برون بلوكيو.. ساعطيك رقمه.. واشرحي له انني.. انني.. لا أستطيع المجيء غداً. لا أملك الشجاعة والقدرة.. لاطلاعه على ذلك بنفسي. وسأبدأ بالبكاء دون شك حالما أسمع صوته الذي يذكرني بالبلدة وبأمي وبـ...».

«حسناً. اتركي الأمر لي».

شكرتها ناتاشا ولا شك أن لوليتا قد نقلت الخبر الى بلوكيو بلياقة لأنها حين عادت لاطلاع ناتاشا على ذلك وهي في غرفتها قالت: «قال أنه لا داعي لك لتشعري بالقلق. كل شيء تحت السيطرة وأن الشيء الوحيد الذي سيعطي والدتك القوة والاندفاع للشفاء هو معرفتها انك ستغنين في دار كوفنت مساء السبت».

«شكراً لك يا حبي» قالت ناتاشا وهي تعانق صديقتها.

«هل بإمكاني فعل أي شيء آخر لك؟».

«أجل. بإمكانك مرافقتي غداً الى الدار أثناء التمرينات! سيستمر ذلك طوال النهار. لكني أعتقد أنني أريد أن تكوني قربي كونك صديقتي الأحب وأفضل وجودك وحدك معي بتلك الأثناء».

«بإمكاني مرافقتك حقاً؟ فقط حاولي أن تمنعيني. لا شيء أحب الى قلبي من ذلك ناتاشا، وسأعتني بك كصديقتك ولبيستك ومساعدتك وكل شيء. فقط.. فقط هل سيسمح لي السيد روتسو بالحضور؟ هو لا يرحب بوجود الغرباء أثناء التمرين صحيح؟».

«سيكون على السيد روتسو السماح لك بالمجيء! سيكون لي طريقتي الخاصة بهذا الشأن علي الأقل».

«الملكة الآمرة منذ الآن» علقت لوليتا بمرح. ومن غرائب الصدف أن هذه الكلمات بالذات هي ما تفوه بها خوليو روتسو حين أخبرته ناتاشا عن مرافقة لوليتا لها أثناء التمرين.

«هذه هي لوليتا صديقتي. وهي ستبقى معي أثناء التمارين اليوم. أنا بحاجة اليها» قالت ببرود.

بدا الموسيقي الشهير متسلي أكثر منه مقاوم وسمح للوليتا بالتجول داخل الكواليس كما تشاء أثناء فترة التمرين.

كان هذا حدثاً ستظل الدار تتكلم عنه لسنوات طويلة قادمة، يوم السبت الغير معقول حيث ستقوم فتاة مجهولة الهوية بدور البطولة المطلقة بأوبرا عطيل الرائعة وبالأخص تحت قيادة الموسيقي الأشهر خوليو روتسو.

«كان عليك الغناء على المسرح من قبل. أنت لا تستطيعين الظهور على المنصة هكذا» علقت الفتاة التي تقوم بدور اميليا.

«الأمر ليس هكذا. لقد تمرنت على ذلك في الاستوديو وبالطبع غنائي مع الكورس حتى الآن قد سمح لي بتجربة شعور المسرح هذا».

أدركت ناتاشا وهي تتنقل على المنصة ممن كانت تستقي القوة والأمان. أدركت لمن تقدم هي كل ما بداخلها وعلى أفضل وجه. أدركت أن هذا كان عرض خوليو روتسو تماماً كما كان عرضها هي، وانها اذا ما أدّت بنجاح حفلة السبت فإنها ستفعل ذلك بامتطائها موجة طاقته وعبقريته.

لكنها لم تستطع أن تشكره على ذلك ولا أن تبتسم له مجرد ابتسامة امتنان أو شكر. وبأعماق عقلها تدور أفكار الغضب والامتعاض لما حدث بينهما البارحة. لم يتبادلا أية كلمة شخصية طوال يوم التمرين المطول هذا فقط بطريقة اتصال روحية غامضة بدا وكأنهما يتفاهمان ويصهران مواهبهما بشعلة ملتهبة أضاءت العرض بشكل مبهر منذ أوله وحتى اخره.

«اذا استطاعت أن تفعل ذلك أمام الجمهور بعد غد فستكون حفلة السبت أمسية لا تنتسى» علق ماكس بنهاية التمرين.

«ستفعل ذلك» كان كل ما قاله خوليو روتسو وما عنته نبرته أنه وبكل بساطة لن يسمح لها بفعل عكس ذلك.

ثم نادى ناتاشا وأعطاها تعليماته للثمانية والأربعون ساعة القادمة: «هذا هو آخر تمرين لعرض يوم السبت. لكنك ستتدبرين أمرك جيداً. أريدك هنا في الثالثة والنصف من بعد الظهر للعمل على بعض التدريبات الثانوية. هناك العديد من الأشياء المتبقية الواجب عليّ مناقشتها معك. بإمكانك الخلود الى الراحة التامة غداً وخذي كل شيء بهدوء. صباح يوم السبت أريدك في الاستوديو للمراجعة عامة».

«لا بأس» قالت بلا تعبير.

«لقد أحسنت صنعاً. أعتقد أنك كنت تعرفين ذلك؟» قال بشه نفاذ صبر.

«أجل» وافقته واستدارت مبتعدة عنه للتفتيش عن لوليتا.

«تلك كانت حركة لئيمة منك ناتاشا أن تتركيه بهذه الطريقة» قالت

لوليتا لها بتعنيف رقيق.

«هذا ما قصدته بالضبط».

«ألا تعتقدين أنه من الأكثر حكمة أن.. حسناً، أن تلاطفيه قليلاً؟».

«كلا».

«اذا لم يكن عندك مانعاً من قولي هذا فإنك يا عزيزتي لم تحققي النجاح بعد، وستكونين بحاجة ماسة له مساء يوم السبت».

ضحكت ناتاشا لذلك واسترخت قليلاً: «انه بحاجة ماسة لي بدوري أيضاً».

«هذا صحيح بالطبع. كيف هو شعور أن يكون خوليو روتسو بحاجة ماسة لك؟».

الكلمات أعطت ناتاشا الشعور الأكثر غرابة وردت بسرعة: «لا أستطيع التفكير بذلك من هذا المنطلق. أنا مجرد الفنانة الضرورية لملىء المكان الشاغر. سأقوم بذلك بأفضل ما تستطيعه مقدرتي لأسباب مهنية وشخصية صرفة. لكن هذا لا يعني أنني لا أحتفظ بحق كرهي العميق له.. وأن أدعه يعرف ذلك».

«أنا لا أستطيع».

«لا تستطيعين ماذا؟».

«أن أكرهه بهذا العناد الشديد. قد يكون خوليو روتسو طاغية ناتاشا، لكنه طاغية بالغة الجاذبية والسحر».

«صحيح. لكن بهذه اللحظة الطاغية أكثر وضوحاً من الرجل الجذاب. لا أستطيع أن أسامحه على عدم تفهمه المطلق.. لمرض والدتي!» ردت ناتاشا.

«لربما لا يستطيع أن يكون متفهماً. على أحدهم أخذ القرارات القاسية والقاطعة بأوقات معينة كما تعرفين».

«لا بأس ولا أي شخص آخر ملائم لفعل ذلك غير خوليو روتسو.

لا تتكلمي عنه بعد الآن» ردت ناتاشا بمرارة.

ولهذا فقد تناولا الغداء وتابعا الحديث بشؤون مختلفة.

عادت الفتاتان الى دار الأوبرا في الوقت المحدد وعملت ناتاشا مع الموسيقي الشهير لساعات طوال. ثم أخبرها أن بإمكانها الذهاب لكن حين استدارت بعدم اهتمام تحرك الفضول داخله، وسألها: «لا داعي لك لتكوني هكذا فقط لأنني كنت مجبراً على فرض سيطرتي بشأن شخصي».

«أنا لست هكذا. أنا فقط لست سعيدة».

«هل الأخبار حول والدتك سيئة جداً؟» سألها بتردد.

«كانت سيئة كفاية مساء البارحة. لم أجرؤ على الاتصال والاستفسار اليوم. أنا.. أنا أحاول ألا أفكر بذلك. ولا أريد مناقشة هذا الموضوع معك أنت من بين كل الناس» قالت بشفاه ترتعش.

«ولماذا أنا من بين كل الناس؟» سألها بنفس خبرتها.

«لأنك لا تملك ذرة واحدة من التعاطف أو من التفهم لشيء مثل هذا. كل ما تفكر به هو العرض».

«على العكس. لقد فكرت مطولاً بهذا. لكن على العرض أن يكون مركز اهتمامي الأول ـ هذه هي مسؤوليتي العليا والأهم ـ ولم أكن قادراً على تقديم الوعود السهلة البارحة قبل أن اطمأنيت لسير التمرين اليوم. ولهذا فأستطيع الآن تقدير الوضع بالضبط واعطائك يوم غدا كيوم راحة كامل. وبما أن هذه هي الحالة وبما أنه لا يوجد قطارات الى بلدتك الآن..»

«وكيف عرفت؟» سألته بذهول.

«لقد استفسرت عن ذلك.. وبما أنه كما كنت أقول آخر قطار قد رحل فهناك حل أخير أوحد. سأقلك الى بلدتك أنا والآن».

«تقلني الى البلدة؟ لكنها تبعد حوالي الخمسون كليومتراً» ردت بشهقة.

«ستة وخمسون. ولهذا فليس أمامنا أي وقت لنضيعه. اذهبي وأحضري معطفك. حان وقت الانطلاق».

«هل.. هل تعني ذلك حقاً؟» سألته بذهول.

«لست معتاداً على قول الأشياء التي لا أقصدها وأعنيها. هل بإمكانك الذهاب الآن؟».

«أجل.. بالطبع» قالت بسعادة وركضت لتحضر معطفها.

ذهلت لوليتا حين أطلعتها ناتاشا على الأمر وقالت: «هذا تصرف بالغ اللطف والرقة منه ناتاشا اليس كذلك؟ المسافة تبعد حوالي الخمسون كيلومتراً».

«ستة وخمسون بالضبط. شكراً لك يا حبيبتي لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونك هذا اليوم» قالت ناتاشا.

«لكني لم أفعل شيئاً. كنت فقط.. موجودة هنا» صاحت لوليتا.

«أجل أشكرك بالضبط على وجودك الثمين هذا المليء باللطف والتطمين بهكذا يوم مجنون ومرهق. شكراً لك. لن أنسى هذا أبداً».

«حسناً، هذا يوم لا ينتسى بالنسبة لي أيضاً. وأنا بالغة السرور لانتهاء اليوم بذهابك لرؤية والدتك والاطمئنان عليها، أعطي طاغيتك بعض الشكر على ذلك ناتاشا» قالت لوليتا بمرح.

«لست بمزاج تقديم الشكر. أنا بمزاج مجنون ومتقلب كما أظن، باستثناء أنني أحبك وأنا ممتنة كثيراً لك» علقت ناتاشا.

«حسناً أحبيه بدوره قليلاً من فضلك. لا بد أن اليوم كان جحيماً بالنسبة له أيضاً وهو يستحق الشكر مادام مستعداً لايصالك الى منزلك الذي يبعد ستة وخمسون كليومتراً» ردت لوليتا بضحك.

«لا أستطيع فعل ذلك.. تحت أي ظرف من الظروف» قالت ناتاشا بجدية ثم ودعت لوليتا وعادت الى حيث كان خوليو روتسو ينتظرها.

ظل الصمت يلف بداية رحلتهما ثم قالت ناتاشا بتردد: «شكراً لك على قيامك بهذا. أنا ممتنة كثيراً لك مع اني لم أقل لك ذلك من قبل».

«لا تشكريني. اذا ما كنت ستشعرين بالقلق على والدتك وعلى نفسك وأدائك فأشك بمقدرتك على اعطاء أفضل ما عندك. لهذا أخذت أنا المخاطرة الأقل ألا وهي اتعابك قليلاً بهذه الرحلة، لكن وبما أنها مخاطرة محسوبة فإنها تستحق القيام بها».

www.rewity.com
RYAHEEN

«محسوبة. كل ما تقوم به محسوباً صحيح؟» ردت برقة ومرارة.

«كل ما أقوم به في عملي.. بالطبع. كيف تظنين اذن يصل الانسان الى قمة الشهرة بمجال اختصاصه؟ بأن يقول لنفسه بتفاؤل أن كل شيء سيسير على ما يرام بظرف ليلة وضحاها؟ لا يسير الأمر هكذا يا عزيزتي. الفنان الذي يؤدي على ما يرام أثناء الليل يكون قد أرسى دعائم هذا الشيء بعد تخطيط وترتيب لشهور وشهور. أي أحمق بإمكانه أن يكون مجرد هاوي فرح، معظمهم كذلك، لكن الذي يهز أركان الأرض بفنه هو المحترف الذي يكرس كل جهده ولياليه لتحسين موهبة الله له وتقديمها على أبهى وأجمل حلة. ألم تسمعي ما قاله أحد أشهر موسيقيي الأرض عن هذا؟».

«ومن كان ذلك؟ أنت؟».

«لا ليس أنا بهذه الحالة على الأقل. انه توماس كان. الموهبة بلا صناعة بلا فائدة. الاثنان معاً يصنعون الفنان، أنت تملكين الموهبة وأنا أدفعك لصناعة لا تنتهي، والفرص أنني سأصنع منك فنانة. اذا ما سميت ذلك حساباً فأوافقك الرأي. لكنه شيء لا يدعو للامتعاض أو الاحتقار».

مرت فترة صمت طويلة ثم قالت «أنا آسفة».

«لا بأس. حاولي أن تنامي الآن فأنت مرهقة تماماً. سأوقظك حين نوشك على الوصول» تناول يدها ووضعها تحت يده على المقود وتابع لدهشتها الشديدة: «هذه أيام صعبة لك لكني سأخرجك منها بأمان. هل تؤمنين بذلك؟».

«أجل. لكن ماذا بشأنك أنت بدورك بحاجة للنوم فاليوم كان مرهقاً لك أيضاً».

«لا بأس سأوقظك في حال غالبني النعاس أو سأتدبر أمري. أغمضي عيونك ونامي الآن».

تنهدت وأغمضت عيونها فعلاً بعد أن أفلت يدها ولا شك أنها غرقت فوراً بالنوم من شدة التعب. ولم تنتبه أثناء نومها لرأسها الذي تحرك واتكأ على كتفه ولا لنظرته التي كانت تسقط على وجهها أثناء توقفه أمام اشارات المرور ولا الى الابتسامة التي كانت تداعب وجهه كلما أصدرت همهمة استرخاء أثناء النوم. لكن حين انتبهت أخيراً وصحت من نومها سمعته

يقول: «ربع ساعة بعد ونصل الى منزلك».

«ربع ساعة؟ أنا آسفة. أنا.. أنا كما يبدو قد اتكأت عليك، ألم أزعجك بالقيادة وأنا هكذا؟».

«ليس حقاً.. كلا».

«لكني كنت أضع بكل ثقلي على ذراعك، لماذا لم تبعدني عنك؟».

«لم أشعر برغبة في ابعادك».

لسبب أو لآخر جعلها تعليقه هذا تضحك وتمطت قائلة: «لقد تمتعت بنوم عميق».

«جيد هذا ما كنت تحتاجينه بالضبط».

«أليس هذا هو ما تحتاجه أنت الآن؟».

«أنا لن أكون آسفاً لرؤية سريري بهذه اللحظة» وافقها.

«آه؟ أين ستنام الليلة؟ أخشى أن فنادق البلدة ليست مريحة تماماً. اذا لم تكن تمانع الخدمات وأساليب الراحة البسيطة فأعتقد أننا.. أننا..».

«شكراً لك، لكني لا أستطيع البقاء. عليّ العودة الى مدريد هذه الليلة».

«هذه الليلة؟ لكني أعتقد أننا سنعود غداً» رددت بدهشة.

«أنا سأعود هذه الليلة. أنت تعودين غداً».

«لكن لماذا؟».

«عندي موعد هام غداً صباحاً.. فكما تعرفين ستكونين أنت ديدمونة لأن فرانشي وبعد أن تعرف أنني قد وجدت البديلة لها وهي من انسحبت بهذه اللحظة بالذات لارباكي وافشال عرضي... ستحاول العودة والتمسك بالعقد».

«اذن.. سيكون أمامك الكثير من المجادلات والمناقشات».

«في البداية أجل لكن النتيجة محتومة».

«وهي؟» سألت بتوتر.

«انت ديدمونة. والآن كيف هي الطريق الى منزلك؟ الى منزل رون بلوكيو أم الى المستشفى؟».

دلته ناتاشا وقلبها تتسارع نبضاته الى منزل رون بلوكيو: «لا شك أنه لا يزال صاحياً فيما ايفان في المنزل قد يكون نائماً وأنا.. أنا أفضل سماع

الأخبار من رون قبل ذهابي الى المستشفى».

«سأنتظرك هنا في السيارة في حال احتجت الى توصيلة أخرى الى مكان آخر» قال حين توقف خارج منزل رون.

ركضت ناتاشا الى المنزل ودقت الباب بسرعة وتفاجأت حين وجدت ايفان شقيقها برفقة رون ووالدته».

«ايفان.. رون.. ما الذي حدث؟» هتفت برعب.

«لا شيء، لا شيء. أمي بخير وقد تعدت مرحلة الخطر وهي تتمتع الآن بالراحة لكن.. لكن كيف أتيت لقد..» سأل ايفان.

«لقد أوصلني السيد روتسو بنفسه. آه أنا بالغة السعادة وشديدة.. شديدة الامتنان لكم جميعاً.. لا أعرف ماذا أقول.. أنا..» أوضحت ناتاشا فوراً وقد تنفست الصعداء لسماعها هذه الأخبار عن والدتها.

«أوصلك خوليو روتسو من مدريد الى هنا بنفسه. هو لا يظهر عادة هكذا اعتبار. هل تريدين منا أن نستضيفه عندنا ناتاشا» ردد رون.

«كلا، عليه العودة الى مدريد. فقط انتظر ليوصلني الى المستشفى اذا ما رغبت بذلك لكن ايفان لماذا أنت لست بالمنزل؟».

«أنا من أصر عليه بالبقاء معنا لهذه الليلة. فرون كان قلقاً عليه كذلك نحن جميعاً والآن ستبقين أنت أيضاً معنا» قالت السيدة بلوكيو برقة.

«أجل ناتاشا ولا داعي لينتظرك السيد روتسو فأنا سأوصلك الى أي مكان مع أنه موعد الزيارات قد فات الآن. سآخذك لرؤية والدتك غداً صباحاً. لكن.. اليس بإمكان خوليو روتسو النزول لتناول القهوة على الأقل؟» سأل رون بضيافة أهل الريف المعروفة.

«سأذهب وأسأله!» سارعت ناتاشا للقول وغادرت الغرفة بسرعة.

وصلت الى السيارة بخطوات بطيئة نظراً للظلام المسيطر وحين وصلت وجدت رأس خوليو على المقود ويديه حول رأسه وكأنه مستغرقاً بالنوم.

«سيد روتسو» قالت برقة عبر النافذة المفتوحة لكنه لم يتحرك. وبعد لحظة مدت يدها لتهزه قليلاً ووجدت هذا الشعور بالغ الفضولية والاثارة، ولسبب غير معروف سمحت ليدها بالوصول الى جبينه ومنه الى رأسه بشعره الداكن الناعم ثم الى أسفل رقبته.

نحرك فوراً لحظتها ونظر اليها بتلك الطريقة الدفاعية التي تلون الملامح بين الصحوة والنوم. كان هكذا تعبير غريب تماماً على عيونها فيما يتعلق بخوليو روتسو بالذات ولهذا فصوتها كان بالغ الرقة والشفافية وهي تقول: «آسفة لاضطراري لايقاظك. هل أنت بالغ الارهاق؟».

«كلا. أنا على ما يرام الآن. أين هو المشوار التالي» قال وهو يقطب قليلاً وكأنه منزعج من رؤيتها له بنقطة ضعف هكذا.

«ليس عليك أخذي الى أي مكان من هنا. سيهتم رون بي الآن. الأخبار حول أمي مطمئنة والحمد لله لكني لن أتمكن من رؤيتها الا غداً صباحاً. وطلب مني رون.. أن أدعوك لتناول بعض الشراب والطعام قبل أن تعاود السفر فهلا تفضلت؟ من فضلك. سأكون بالغة القلق عليك اذا ما عدت على الفور وأنت بهذه الحالة من التعب والارهاق».

«أستكونين كذلك حقاً؟ لكن لا أظن أن عليّ الدخول وقبول ضيافته بظل هذه الظروف».

«أية ظروف؟».

«اليس هناك مثلاً ينص على عدم تناول الطعام عند عدوك؟» قال بتسلية.

«لكن رون ليس عدوك. هو حقاً لا يحمل لك أية ضغينة للطريقة التي تصرفت بها تلك الليلة حين اصطحبتني الى المنزل. اذا كان هذا ما تقصده».

وكان لناتاشا التجربة الغير عادية برؤيته يتناول الشاي الساخن وبعض الساندويتشات السريعة فيما قامت السيدة بلوكيو بإظهار كل ضيافتها الطيبة وكذلك رون نفسه وايفان شقيقها. لكن بقاء خوليو لم يستمر لأكثر من نصف ساعة غادر بعدها وهو يشكرهم برقة وسارعت ناتاشا خلفه وكأنها بانتظار أوامره لها.

«كوني واثقة من عودتك بقطار الغد. أنا واثق بك لفعل ذلك».

«أنا لن أخيب ثقتك. و.. وشكراً لك ولو أنك قد فعلت ذلك من أجل العرض فقط».

رفعت وجهها اليه وابتسمت له بإشراق.

«ما هذا؟. دعوة لي لتقبيلك؟» سألها باستمتاع.

«اذا ما أردت تفسير الأمر بهذه الطريقة».

«أنا. . أحب أن أفسّر الأمر بهذه الطريقة».

«آه. هل. . هل كان هذا ما تسميه مخاطرة محسوبة؟».

ضحك على ذلك وداعب خدها بأصابعه.

«اسأليني بعد العرض يوم السبت» قال وصعد الى السيارة وابتعد.

عادت الى المنزل وشكرت آل بلوكيو بحرارة على لطفهم وكرمهم لكن حين نامت وجدت أفكارها تنشغل بالسيارة العائدة الى مدريد وبالذراعين الملتفتين حولها بقوة وبالقبلة القاسية المتطلبة والحارة.

تناولت فطورها باكراً صباح اليوم التالي وودعت ايفان قبل ذهابه الى المدرسة ثم ذهبت مع رون الى المستشفى لرؤية والدتها.

«اذن ستصبحين النجمة الأولى بعد ليلة السبت ناتاشا؟» سألها رون.

«ليس فعلاً. يقول السيد روتسو أن عليّ أن أسمح لنفسي فقط بفترة قصيرة من الشهرة. سأعود بعد ذلك الى التدريب اليومي مجدداً لكن. . لكني لا أمانع بذلك حقاً. بدأت أدرك الأمور بأبعادها الحقيقية».

«اذن لم يعد هو متوحشاً؟».

«أجل انه متوحش ولا يزال. لكنه متوحش رائع وذكي وساحر على ما أظن» ردت ناتاشا.

لسبب ما لم يعجب رون بكلماتها هذه وفضل البقاء صامتاً لحين وصولهم حيث أصر على انتظارها في السيارة ليتيح لها فرصة الانفراد مع والدتها المشتاقة لها.

كانت دهشة وفرحة السيدة برايت هائلة برؤيتها لناتاشا التي عانقتها بحب فائق واطمأنت على أخبارها ثم أخبرتها باختصار بما حدث.

«لقد تغيرت ناتاشا».

«تغيّرت أمي؟ كيف؟».

«أنت لا تبدين مطلقاً كالفتاة الخجولة التي كانت تأخذ الدروس عند الآنسة بيرتا. تبدين. . تبدين كمن تحولت الحياة عندها الى سعادة واثارة وثراء».

«حسناً، أعتقد. . أن هذا صحيح».

«بسبب آمالك لليلة السبت؟».

«ليس تماماً».

«بسبب خوليو روتسو؟» سألتها والدتها بتفكير.

«أ. . أجل. لكن فقط بطريقة مهنية محضة. لا يوجد أي شيء شخصي بعلاقتنا. لا شيء البتة. أنا مجرد صوت بالنسبة له. لا أعتقد أنه يفكر بي كامرأة مطلقاً».

«وأنت. هل تفكرين به. . كرجل؟» استفسرت والدتها.

«كلا. بوصفه فقط. . عنصر قوة وطاقة. انه الالهام الذي ينير لي الطريق، انه العاصفة التي تحملني الى السماء».

«يبدو كلامك لا يطمئن كثيراً. لكن لعل هذا هو السبب لكونك محتارة منذهلة، مسحورة وخائفة بنفس الوقت» علقت والدتها.

غيّرت ناتاشا الموضوع فوراً وحدثت والدتها عن كرم ولطافة آل بلوكيو.

«يبدو أنهم الملائكة التي أرسلتهم السماء لنا لمساعدتنا. كيف بإمكاننا رد جميلهم علينا لا أعرف الا اذا. .» توقفت وغرقت بالتفكير.

«الا اذا ماذا أمي؟».

«هل سبق وخطر ببالك ناتاشا أنه من الممكن أن يكون رون بلوكيو هو الشخص المجهول الذي يدفع تكاليف تدريبك؟».

«أجل غالباً. في الحقيقة أنا واثقة من هذا وآمل أن أتمكن يوماً من الأيام من رد هذا الجميل الهائل له بتحقيق آماله وجعله فخوراً بي».

«حسناً لربما هذا هو كل ما يريده. هل ألمحت له يوماً أنك تعرفين ذلك؟. . أو هل حاولت يوماً أن تشكريه على كرمه؟» قالت والدتها بغموض.

«كلا. اعتقدت. . على الأقل هذا ما قالته المعلمة بيرتا أنه مادام قد اختار أن تكون هويته مجهولة فمن باب اللياقة من الواجب عليّ احترام رغبته هذه».

«آه هذه لياقة مبالغ بها. لقد بقيت صامتة لفترة أكثر من طويلة. أعتقد أن عليك شكره. . أو على الأقل أن تخبريه أنك تدينين بفرصة الغد الماسية له».

«انها.. فكرة مغوية. وبما أنني سأبدأ بقبض مبالغ جيدة على حفلاتي اللاحقة فأعتقد أنني سأتمكن من دفع تكاليف تمريني بنفسي وأبعد عن كاهله عبء هذه التكاليف».

طأطأت والدتها بموافقة ثم لاحظت ناتاشا فجأة تغير لون وجه أمها واشارات التعب التي بدت عليها. فنهضت حين دخلت الممرضة وودّعت والدتها بعناق حار وغادرت الى حيث كان رون بانتظارها.

حين عادا الى منزل آل بلوكيو السيدة بلوكيو كانت في السوق ففرحت ناتاشا لذلك لأنها أرادت التحدث مع رون على انفراد.

«هل تدرك. أنني سأتمكن غداً من قبض أوّل مبلغ لي كمغنية محترفة؟». قالت ناتاشا.

«لا بأس أجل. أفترض هذا. أنا لم أفكر بذلك من هذا المنطلق» أفترض هذا.

«أنا فعلت. والسبب الأكبر بذلك يعود الى أملي الكبير بالتمكن من رد الدين الهائل الذي أدين به الى.. الى ممولي الحبيب. اه، لقد تقبلت ذلك منه بكل طيبة خاطر، وكنت ممتنة له أكثر مما يتصور أي عقل. لكني سأكون شخصاً خسيساً اذا ما فكرت بسداد هذا الدين له يوماً، اليس كذلك؟».

لم يجيب على الفور فرددت هي بقلق: «اليس كذلك؟».

«لا أعرف. واذا كان المانح لا يريد أن يسترجع ماله؟» قال ببطء.

«لكني أظن أنه سيتفهم أسبابي. أنت.. أنت لا تمانع بقولي هذا صحيح؟ أنت تتفهم وجهة نظري والطريقة التي أشعر بها نحو هذا الموضوع؟».

«أنا بالطبع أفعل يا عزيزتي. أنا أتفهم ذلك كلياً لكن..».

«اذن بإمكاني قول ذلك! شكراً لك رون! شكراً لك، شكراً لك على ما فعلته. لا شيء من أي نوع سيكون كافياً لرد لطفك وكرمك الخرافي، لكنك ستسمح لي على الأقل بـ..».

«انتظري لحظة. لقد أسأت كلياً بشيء ما، ناتاشا هل كنت تعتقدين طوال الوقت أنني المسؤول عن كل هذا؟» قاطعها رون وهو ينهض من مكانه ويقترب منها بعاطفة جياشة.

«لكن بالطبع. أنت.. أنت هو اليس كذلك؟ أرجوك، أرجوك لا تنكر ذلك فقط لأنك تشعر أن..» قالت وقد شحب وجهها فجأة.

«لكن يا فتاتي العزيزة يجب أن أنكر ذلك. لست الشخص المقصود هنا. كنت أتمنى لو كنت كذلك. كنت لأتقبل امتنانك الحبيب بكل طيبة خاطر. لكن.. أنا لا أستطيع».

«تقصد.. أنت تقصد ذلك لا؟ لكن.. من هو؟ من يعرف كفاية.. يهتم كفاية..؟» حدّقت به بذهول وانصعاق وكأنه يصعب عليها تقبل ما كان يقوله.

وبعد لحظة سعل هو قليلاً وقال بانزعاج: «لطالما اعتقدت أنه خوليو روتسو نفسه».

«خوليو روتسو؟ من غير المعقول أن تخطر هكذا فكرة الى ذهنك! خوليو روتسو يدفع تكاليف تمريني؟ اه.. لا.. لا. هذا شيء يستحيل التفكير بإمكانية حدوثه. انه ليس من هذا النوع من الرجال».

«حقاً؟ لطالما اعتقدت أنه كذلك».

«ماذا؟ خوليو روتسو كريم ورومانسي؟».

«كلا، بل مقتنع بقيامه بدور الله على الأرض».

«آه..» هذا يبدو معقولاً أكثر فيما يتعلق بشخصيته، لكن هذا لم يمنعها من الغرق بالخيبة والذهول. فهي وبكل بساطة لا تستطيع مجرد أن تتقبل امكانيتها أن تكون تدين بكل شيء للرجل الذي تكره.

فترة صمت مرت قبل أن تقول: «ولماذا قد يفكر هو مجرد تفكير بهذا رون؟ في البداية كان يحتقرني تماماً، حتى أنه السبب المباشر بخسارتي لمباراة التلفزيون تلك».

«وبقيامه بذلك جعلك معتمدة كلياً على أي شيء سيقدمه لك. لم يفكر بطريقة أفضل من هذه لتثبيت سيطرته الكاملة عليك. أما فيما يتعلق باحتقاره لك أو لصوتك فأنا لا أعتقد أنه قد شعر بذلك فعلاً. على العكس، أعتقد أنه ميز وعلى الفور امتلاكك لموهبة صوتية فريدة لكن على كل حال هناك كرم بعرضه» رد رون.

«كرم؟ بالطبع لا. انه ليس من هذا النوع. التسلط والتحكم بحياتي هو

دافعه بفعل ذلك دون شك. عرف أنه اذا ما كنت أدين له بتمريني وبتكاليف اقامتي وما الى ذلك فإن بإمكانه أن يجعلني أشعر أنني.. أنني أنتمي له».

«ماذا تقصدين بالضبط بهذا؟» سألها رون بانزعاج.

«آه، لا شيء شخصي. أنا وبكل بساطة مجرد ابداع وخلق فني. هو ينظر اليّ من هذا المنطلق. ومن هذا المنطلق يريدني أن أكون له. حتى يضعني كلياً تحت رحمته. ألا تفهم؟ سيكون دينه ديناً لا يمكن رده، فهو لم يتبناني ويطلقني الى شهرة فحسب بل يدفع أيضاً تكاليف تمريني وتدريبي».

«أعتقد أنك تبالغين» قال رون بعدم ارتياح.

«أنت لا تعرفه كما أعرفه أنا. اذا ما صمم رأيه على شأن فني فإنه سيحارب الشياطين أنفسهم ليحقق ما يريد».

«حسناً، لا أعرف.. ياه تأخر الوقت بالكاد ستتمكن من الوصول الى المحطة.. القطار..».

فوراً اجتاحها الرعب ونسيت كل ما كانا يتحدثان به وصاحت: «آه، لنذهب فوراً! لقد وعدته أن أستقل القطار هذا. لا أستطيع أن أتخيل ماذا سيفعل اذا لم أفعل».

ركضا الى السيارة معاً وأيديهما متشابكة وشعرت ناتاشا بالارتياح لهذا ولم يعاودا فتح موضوع الممول مجدداً حالما وصلا الى المحطة كان القطار يستعد للتحرك فهرعت ناتاشا اليه فيما قطع لها رون التذكرة بسرعة فائقة.

«لا تقلقي. فكري فقط بعرض الغد. بإمكان أي شيء اخر الانتظار. علي كل حال، قد يكون كلانا على خطأ. من الممكن أنه قد تدبر لك ممولاً حيادياً كريماً، قد يحدث هذا أحياناً. انسي الأمر! انسيه الى ما بعد العرض، حظاً سعيداً يا عزيزتي.. وفليباركك الله».

«آه شكراً لك رون العزيز. شكراً لك على كل شيء. لن أنسى مطلقاً كم كنت جيداً ولطيفاً معي حتى ولو لم تكن ممولي المجهول» قالت من نافذة مقصورتها.

ضحك لهذا وأخذ يلوح لها والقطار يبتعد. أغلقت ناتاشا النافذة واسترخت مكانها مصممة على تنفيذ نصيحة رون الأخيرة بتجاهل أمر شخصية ممولها كلياً الى ما بعد العرض. وظلت صورة رون وهو يودعها

بضحك من على رصيف محطة بلدتها صورة مشجعة لها للتصميم على نصيحته. وجدت أن لوليتا كانت بانتظارها في المحطة في مدريد وأخبرتها صديقتها أن خوليو روتسو هو من اتصل بها وطلب منها فعل ذلك لأن ناتاشا كما قال ستكون بحاجة لأقرب المقربين اليها وأخبرتها لوليتا أيضاً وبحماس عميق أن خوليو روتسو قد حارب لأجلها في دار كوفنت لأن فرانشي وصلت وطالبت بالقيام بدور ديدمونة. لكنه أعلن أنه اما هو واما هي وبالطبع كان هو المنتصر.

كل هذا الكلام لم يلطف من رأي ناتاشا به ولم يخفف من غضبها وحنقها عليه. لكنها تعلمت منه بالذات كيف تضبط أعصابها وتفكر بالأمور المهمة الأساسية.

حين وصلت الى المنزل أخذ الجميع يعاملها باهتمام وعناية وكأنهم يخشون عليها من الكسر. ولربما كانت ناتاشا أكثرهم استرخاءاً وطبيعية وهي تستلقي بسريرها وتنام بهدوء تلك الليلة.

لكن مخاوفها غضبها وتوترها ظهرت كلها على السطح حين وطأت أقدامها ارض الاستوديو ورأت وجهه الجميل المصمم والواثق.

«كيف لم أشك بالتفسير الحقيقي قبل الآن؟ بالطبع هذا هو الوضع الذي سيحلو له. السيطرة المطلقة.. عليّ وعلى صوتي».

ولا شك أن شيئاً من توترها الداخلي قد ظهر بصوتها لأنه قال بمرح نافذ الصبر: «استرخي يا فتاتي استرخي! لا يوجد أي داعي لتكوني خائفة أو متوترة. سأقودك عبر هذه الليلة بكل أمان. لا تخافي بهذا الشأن».

«أنا لا أخاف ذلك» ردت وبغرابة كافية كان هذا هو شعورها الفعلي.

بنهاية الدرس القصير والذي ذلّل خلاله مشكلة أو مشكلتين التي بقيت بعد التمرين الكامل، ابتسم لها بطريقته الخاصة تلك وقال: «حسناً، بما يتعلق بي فأنا مكتفي وراضي تماماً. هل هناك شيء أخير تريدين أن تسألي عنه؟».

سؤاله هذا أغواها بطرح السؤال المحير والمغيظ الذي يقبع داخل عقلها لكنها تماسكت وسيطرت على أعصابها وردت: «شكراً لك. أعتقد أنك قد غطيت كل شيء».

شيء ما بنبرته جعله يبدو محتاراً لأنه قطب قليلاً، لكنه بعد لحظة قال: «جيد جداً. اذهبي الى المنزل الآن. استريحي كلياً لبقية هذا اليوم. وكوني غداً بدار الأوبرا في الخامسة تماماً».

«سأكون هناك» قالت بثقة.

«ولا داعي لك لتشعري بالقلق حيال أي أمر. لقد تأكدت من حصولك على أكثر الأشخاص خبرة في مجال التجميل ومن سيهتم بلباسك أيضاً لا يقل خبرة عن هذا الأخير».

«هذه بالطبع من عاداتك الدائمة» قالت وابتسمت بخفة وتباعد.

«صحيح. سآتي وأطل عليك بغرفتك في الوقت المناسب في حال كان هناك شيء آخير ليقال مني أو منك. ضعي نفسك بدور ديدمونة.. واتركي الباقي لي».

«حسنا» قالت واستدارت متجهة نحو الباب.

كانت على وشك الوصول الى العتبة حين سمعت صوته الهادىء والآمر خلفها: «ناتاشا، عودي الى هنا للحظة».

استدارت فوراً وعادت اليه وهي متمالكة تماماً.

«انظري الي» أمرها فجأة.

هزها هذا لكن وبعد لحظة تردد رفعت نظرها اليه ولاحظت صلابة ملامحه ولون بشرته البرونزية وبريق عيونه المخترقة: «لا نستطيع ترك الأمور على ما هي عليه. ما الأمر؟» قال ببرود.

«لا شيء» قالت ونظرت بعيداً ثم أعادت عيونها اليه بقوة غريبة.

«بالطبع هناك شيء ما! لسبب ما أنت لست الفتاة ذاتها التي أوصلتها الى تانمو ليلة البارحة».

هذا صحيح! لكنها ظلت صامتة بعناد.

بدا مستمتعاً ونافذ الصبر لذلك وعاد ليسألها: «هل عليّ حثك ودفعك لاطلاعي على ماهية الأمر؟».

وهنا اشتعل غضبها وتبخر تماسكها فبرقت عيونها وقالت له: «ليس عليك أن تفعل ذلك مطلقاً صحيح؟ فبعد كل شيء لقد سبق لك واشتريت الحق باصدار الأوامر لي. اليس هذا كافياً لك؟».

استدارت لتبتعد وتغادر المكان الا أنه أحاط بخصرها فوراً بيديه وشعرت بقوتها تتسلل منها على الفور. ليس فقط بسبب اليدين المحيطة بها بل بسبب شبه التصاقها هذا به.

«ما الذي تقصدينه بهذا بالضبط؟ توقفي عن العناد وتكلمي بمنطق ولو لمرة واحدة».

«حسناً، اذن. سأفعل! اذا ما أردت أن تعرف فقد اكتشفت هوية الممول الذي يدفع عني كل شيء» صاحت بغضب حار: «لم أشأ أن أصارحك بهذا الا بعد العرض. لكن بما أنك تصر على المعرفة، فبإمكانك الحصول على الحقيقة الآن. أعرف على الأقل أنك من يدفع تكاليف كل شيء، من مسكن، مأكل ومشرب وتعليم».

«اه.. فهمت، وأفهم من ذلك أنك.. لا تحبين هذا الواقع» تركها الآن وأصبح فجأة بارداً وهادئاً.

«أنا أكرهه وأتقزز منه. أرى الآن أن هذه كانت طريقتك بعرض سلطتك التامة والكاملة عليّ. كنت لأسامحك على استبدادك واصدارك المرهق. كنت لأسامحك على قسوتك الشديدة معي أحياناً. لكني لن أسامحك مطلقاً لشرائك سلطتك عليّ» قالت بعمق جعله يرتعش قليلاً.

«هل علينا أن تكوني مليودراميين بهذا الشأن؟» سألها باشمئزاز.

«لست مليودرامية. أنا أخبرك لماذا لا أستطيع أن أكون متحضرة معك، لو كان بإمكاني الابتعاد عنك وتركك الآن..».

«لا تتجرأي أبداً وتنطقي بهكذا كلمات. ما تشعرين به أو ما أشعر أنا به بعد شيئاً تافهاً بهذه اللحظة! هل تفهمين؟ شؤوننا الخاصة الصغيرة هذه لا تعد شيئاً أمام العرض الضخم الذي ينتظرنا. وعرض الليلة قد يكون عرضاً خضماً. سيكون كذلك بالتأكيد. وبعد ذلك . بإمكانك أن تخبريني بالضبط ما هو رأيك بي. فلن يهم الأمر حينها».

«اه، سأخبرك بالتأكيد. كن واثقاً من ذلك. سأخبرك» أكدت له بهدوء.

«لكن بعد العرض. ولربما يا مليكتي المتقلبة الصغيرة من تاغو.. لربما سأخبرك أنا حينها عن رأي بالضبط بك».

حدقت به بصمت للحظات وهي نصف مذهولة ونصف متمردة على

شعلة الاستمتاع والثقة التي كانت تتوهج داخل عينيه. وحتى وهي تؤكد لنفسها أنها تكرهه لاعتباره ما قالته بخفة وتسلية هكذا الا أنها كانت شاكرة له أيضاً أن حظها بالنجاح بهذا اليوم المصيري موجود بين يدى خوليو روتسو الواثق تماماً من نفسه.

«عودي الى المنزل. فكّري فقط بعرض المساء. بإمكان أي شيء الانتظار الى ما بعد ذلك».

هذا ما قاله لها رون بالضبط، لكن ما اقترحه رون برقة كان عند خوليو روتسو تطمين قادر وآمر.

«حسناً» قالت بتنهيدة عميقة، لكن سواء أكانت هذه تنهيدة رضى لاطلاعه على اكتشافها لمخططه المشين أم أنها تعبير عن ارتياحها لسيطرته الكاملة على الوضع هي لم تعرف.

غادرت المكان وخرجت الى الشمس ولسبب غير معروف أبداً لهما كان التوتر والحنق قد غادراها ليحل مكانهما سلام تام وكامل.

أخيراً وبعد طول انتظار حانت اللحظة الحاسمة وانتهت اللبيسة من وضع اللمسات الأخيرة على ثوب ديدمونة وغادرت الغرفة مفسحة المجال لناتاشا بالتمتع بلحظات قليلة مع نفسها قبل بدء دورها بعد دقائق قليلة.

استجمعت ناتاشا كل جرأتها وإدراكها أن خوليو روتسو سيكون هناك قربها جعل تدخل المسرح المضيء وتواجه الجمهور الهائل الذي كان يملأ المقاعد. وبنظرة واحدة الى الموسيقي أخذت تقوم بدورها وصوتها كالكريستال الصافي وحركاتها طبيعية جداً بتقمصها لدور ديدمونة.

علا التصفيق والهتاف بالفصلين الأولين وأدركت ناتاشا انها حازت على اعجاب الجمهور، لكن التصفيق كان لها ولباقي الممثلين والمغنين فدورها الحقيقي هي سيكون الفصل الثالث ويبدو أن الجمهور بدوره كان يؤجل حكمه عليها حتى ذلك الفصل المصيري.

جلست ناتاشا بغرفتها خلال فترة الاستراحة الأخيرة السابقة للفصل الثالث ومع أن خوليو لم يزور غرفتها خلال فترات الاستراحة الا انها لم تكن منزعجة من ذلك فوجوده على المنصة قربها كان كافياً لها وهي لم تكن بحاجة لأي شيء يبعدها عن التركيز الآن.

ادراكها ان حكم الجمهور الحقيقي عليها سيكون في الفصل القادم الآن جعلها تشعر بالسعادة لا بالخوف.

«لا تكوني فائقة الثقة بنفسك» قالت لنفسها بصرامة: «انها احدى أعظم تحديات الاوبرا. لكن بإمكاني فعل ذلك. أعرف أن بإمكاني فعل ذلك. طالما انه هناك فإنني لن أفشل».

ثم سمعت طرقة على باب غرفتها ودخل ماكس المنتج ووجهه يحمل القلق الواضح.

«انت تبلين بشكل رائع ناتاشا. كل شيء معد للفصل الأخير».

«أجل، بالطبع. هل.. هل هناك خطب ما؟».

«حسناً، لا شيء بالغ الخطورة. لقد حدثت مشكلة صغيرة وأعتقد أن رونغ باليارو سينهي الأداء عن خوليو. لكن لقد سبق لك وأن عملت معه أحياناً و...».

«ينهي الاداء عن خوليو؟ لكن هذا غير ممكن! لا يمكن أن أنجح بدون السيد روتسو. ما الذي حدث؟ أين هو؟».

دفعت المنتج قليلاً وهرعت الى خارج الغرفة.

«انتظري لحظة. انه لم يصب بدرجة خطيرة. لكنه انزلق وهو يتجه الى طاولته قبل لحظات ويعتقدون أنه قد فك رسغه، طبيب الاوبرا معه الآن...».

«فك رسغه؟ رسغه الأيمن؟».

«أخشى ذلك» رد ماكس.

«اذن.. اذن لن يقدر أن يدير الفرقة!» شعرت فجأة بالرعب وبالفراغ: «لكني لا أستطيع أن أتابع بدونه. لا أستطيع يحب أن أراه!».

خرجت من الغرفة وركضت كالصاعقة الى غرفته ودخلت دون حتى أن تطرق على الباب.

كان خوليو روتسو الشاحب الوجه لدرجة غريبة يجلس على كرسيه وطبيب الدار يتفحص يده اليمنى.

«أجل، أخشى انك قد شعرت العظم أو حتى كسرته. لا أستطيع التأكيد الا بعد صورة الأشعة. من الأفضل أن ننقلك الى المستشفى في الحال».

«كلا. . .» صاحت ناتاشا بذعر من على الباب: «أرجوك. . أنا. . لا أستطيع. . المتابعة. . بدونك! لا أستطيع المتابعة مع أي شخص غيرك! أنا خائفة. افعل شيئاً ما».

وركعت على ركبتيها قرب كرسيه وثوب المسرح خاصتها منتشر حولها كهالة من اللآلىء والألماس.

«أرجوك لا تتركني. . الآن» وفجأة وضعت رأسها على يده المصابة.

قال الطبيب: «انتبهي».

لكن خوليو أخبره: «اتركها» وتحرك قليلاً ووضع يده اليسرى على رأسها وقال: «اجلسي ولا ترتعبي ناتاشا. ليس عندي أية نية بترك أي موسيقي آخر يأخذ مكاني».

«آه» تنهدت بعمق هائل وبراحة كاملة.

فيما قال الطبيب بقلق: «انت لا تستطيع تحريك رسغك الأيمن سيد روتسو».

«أنا لا أنوي ذلك» رد خوليو: «علي تدبر الأمر بيدي اليسرى فقط. وأنت ناتاشا. يجب أن تكوني منتبهة تماماً لأنك لن تحظين بنفس القيادة السابقة المعتادة عليها».

«أنا لا أمانع» قالت بلهفة: «أنا لا أمانع طالما انك ستكون موجوداً هناك. هل بإمكانك فعل ذلك؟ هل بإمكانك فعل ذلك حقاً؟».

«أجل، بالطبع، فليأتني أحدكم بالبراندي، وانهضي عن الأرض ناتاشا أنت تفسدين الثوب».

ثم تابع خوليو حديثه للمنتج البالغ القلق: «ليتواجد رونغ باليارو قرب طاولتي في حال حدوث طارىء ما، لكني أظن أن بإمكاني تدبر الأمر».

وكان هناك احتجاج واضح لكنه أسكت الجميع بقراره الصلب والنهائي: «أنا من سيدير الفرقة بهذا الفصل الأخير. انتهى النقاش».

وكان لناتاشا الوقت فقط لتهمس: «شكراً لك. . اه، شكراً لك» قبل أن تهرع الى المنصة لتأخذ دورها.

وتبددت الأزمة بظرف لحظات كما بدا. فناتاشا كانت تدرك وللمرة الأولى بعلاقتهما معاً انها بحاجة ماسة لها تماماً بنفس حاجتها الماسة له.

وبهذا الاقتناع استدعت كل ذرة شجاعة داخلها وكل وحي فني ونظام وموهبة.

وكان الفصل الثالث تماماً كما أراداه أن يكون. لم تنس نقطة واحدة من تعليماته. عقلها كان بالغ الصفاء، صوتها تحت سيطرتها الكاملة وتصويرها لشخصية الفتاة البريئة المحكوم عليها بالموت صار حقيقياً ومتوسلاً ومؤثراً لدرجة أن راندا بيور ـ الجالسة في مقصورتها ـ أخذت تذرف دموع التأثر.

كانت ناتاشا تعرف بأعماقها أنه سيكون أمامها الآن العديد من العروض الأخرى بالسنوات المقبلة. لكن شيئاً لن يكون بمثل، روعة. أمان وجمال هذا العرض العظيم. الليلة هي كليلة الولادة لها. من الصراع الهائل الذي جرى قبلاً كانت تنبثق هي الى العالم الذي أراده الله لها.

وفيما دفنت وجهها بين يديها باخر مقطع من أغنية «آف ماريا» أعطاها الجمهور أعظم اعجاب ممكن أن يقدم لفنان. كان الصمت الكامل والترقب الهائل يغطي الجمهور بأكمله وكل واحد منهم مسحور بالدراما أمامها ولا يجرؤ على كسر قالب السحر المهول هذا بمجرد التصفيق أو حتى الهمس.

لم تسمح لنفسها بالتفكير بذلك قبل إنزال الستار الأخير حيث تفجر هناك التصفيق المدوي ونهض كل من بالقاعة من مكانه تعبيراً عن شدة اعجابه بولادة النجمة الساطعة.

«ناتاشا! ناتاشا!» على الصراخ والهتاف لها والممثلين يظهرون بالتالي على عتبة المسرح لتحية الجمهور ولوحت ناتاشا بيدها للجميع وخاصة لأصدقائها في «البلكون». ثم رأت خوليو روتسو ـ الشاحب بشعره الداكن الرطب قليلاً ـ يخرج من الجهة المقابلة ليحظى بعاصفة التصفيق الأعظم والأكبر.

وقف بالوسط مبتسماً للحظات ثم أشار بيده اليسرى الى جانب المنصة ودفع أحدهم ناتاشا بلطف فسارعت لتنضم اليه.

كان هذا من أروع الأشياء على الاطلاق، ان تقف قربه على منصة اوبرا كوفنت الشهيرة لتشاركه عاصفة التصفيق الغير منتهية. استدار وقبل يدها التي كان يمسك بها ـ مما أثار عاصفة أخيراً من الهتاف والصفير والتصفيق ـ وبالتغطية الكافية لهذه الأصوات ـ قال لها بهدوء.

«شكراً لك يا حبيبتي. لقد كنت رائعة».

«ماذا قلت؟» همست والستارة تنسدل.

«بالضبط ما اعتقديني قلته» رد قبل أن ينضم اليهما بقية الفنانين وتضيع عليها بالتالي فرصة الاستفسار الواضح.

من غير المعقول أنه قال لها «يا حبيبتي» لا شك أنه قد تخيلت ذلك. لكنه بالطبع أخبرها انها كانت رائعة وهذا وحده يكفيها ويكفيها جداً.

لقد نسيت انها تكرهه، نسيت كل شيء حول دينه وشرائه لسيطرته عليها. تذكرت فقط انها قد نجحت وأنه قال أنها رائعة.

لاحقاً. أغرقتها التهاني وهي بغرفة الملابس خاصتها ووجدت الأزهار تملأ غرفتها من أصدقائها، من رون بلوكيو من عائلتها وكان هناك باقة فائقة الروعة مع الحرفين «خ. ر» فقط على البطاقة. وتحلق الجميع حولها معلمتها، وأصدقائها والعديد من الاشخاص الآخرين الذين لا تعرفهم. وحين سألها أحدهم عن موعد حفلتها الثانية أجابت:

«لا أعرف. هذا يعتمد على السيد روتسو. لا أظن أنه سيسمح لي بالقيام بالاحتراف بعد. هو يقول أنني لا أزال بمرحلة التعلم».

«يا لك من فتاة محظوظة» علق أحد الرجال المتقدمين بالسن والبادي الرفعة: «اذا ما طور روتسو موهبتك بدلاً من السماح لهم باستغلالك فلا أمانع من القول منذ الآن اننا على عتبة اكتشاف موهبة نادرة وفنانة تاريخية. لكن اذا ما بدأت تغنين أي شيء وكل شيء منذ الآن فإنك ستعرفين الشهرة فقط لثلاث أو أربع سنوات ثم ستنطفأين كالمئات من المغنين الآخرين. سجلي كلماتي وتقبلي تهنئاتي».

ثم غادر الرجل وأعطاها أحدهم هويته فعرفت انه «انطونيو باردو» أحد أهم النقاد الموسيقين في اسبانيا كلها.

كل شيء حولها كان مثيراً ومذهلاً لكنها تدبرت أخيراً من البقاء بالغرفة بمفردها مع صديقتها لوليتا فقط.

سارعت ناتاشا لتقول: «اذهبي لوليتا فوراً الى غرفة السيد روتسو واعرفي ما الذي حدث. أخبريه أنني سأوافيه على الفور لأراه فقط أريد خلع هذه الملابس وإزالة الماكياج».

سارعت لوليتا للتنفيذ بحماس وعادت الى غرفة صديقتها بعد دقائق قليلة.

«سيأخذونه للتو الى أقرب مستشفى لتصوير يده» قالت لوليتا.

«يجب أن أراه. سأذهب معه».

«لا أعتقد انك قادرة على ذلك» ردت صديقتها.

«لماذا؟».

«حسناً، أعتقد أن جوليا بورتيغي تقوم بهذا الدور. فبعد كل شيء هي تعتبره لها وحدها اليس كذلك؟».

«بورتيغي؟ ما الذي تفعله هنا؟».

«تحوم حول روتسو الشهير بهذه اللحظة بالذات. لكن دون شك هي كانت مع الحضور أثناء الحفلة. لم تتصوري انه من الممكن لها الغياب عن هكذا عرض مصيري صحيح؟ والآن هي في الكواليس تقوم بتدبير كل شيء له».

«لا أصدق هذا. لم يكن لها اي دور بإجراءات اليوم».

واندفعت ناتاشا الى غرفة الموسيقي. كان على وشك المغادرة وكان يبدو شاحباً ومرهقاً. وكان هناك حشد كبير داخل الغرفة من المنتج الى الطبيب وبعض الفنانين وبالطبع جوليا بورتيغي بجمالها وجاذبيتها. للحظة لم يشاهد هو ناتاشا. جوليا هي من فعلت وابتسمت لها برقة وحلاوة: «كنت رائعة يا عزيزتي. ستكوني يوماً ديدمونة جيدة فعلاً».

«شكراً لك سيدتي» ردت ناتاشا واقتربت من خوليو روتسو. حتى لحظة وصولها اليه لم يكن عندها أدنى فكرة عما ستقوله له. وكل ما استطاعت أن تقوله هو:

«شكراً لك.. عن الليلة. و... وشكراً لك على الازهار الرائعة».

«آه، لقد وصلتك؟» ابتسم بخفة لها واستدار قليلاً نحوها وكأنه ينفرد بها عن الباقين.

«أجل، بالطبع».

«وهل من تعليق؟» استفسر.

«فقط.. انها رائعة وأنك قد اخترت أزهاري المفضلة».

«فهمت» قال وبدا فجأة متعباً ويشعر بالملل. ولأنها لا تريد أن تراه هكذا هذه الليلة من بين كل الليالي، قالت برقة بالغة.

«هل ترغب بأن أذهب معك الى المستشفى؟».

كانت جملتها هذه هي غصن الزيتون الذي يخبره انها تشعر بالصداقة نحوه بالرغم من كل ما حدث بينهما قبل العرض. لكن ولا أي غصن زيتون رفض بهذه الطريقة القاسية التي تلت.

«لا بحق السماوات! هل تعتقدين أنني بحاجة لك للإمساك بيدي؟».

ثم استدار نحو الباقين مجدداً وبدون كلمة «تصبحين على خير» غادر مع بورتيغي والطبيب. وعادت ناتاشا الى غرفتها محاولة اخفاء الخيبة واليأس المفاجيء الذي اجتاحها.

لوليتا الفرحة والمليئة بالسعادة كانت بانتظارها فاضطرت ناتاشا لإظهار بعض السعادة. لكنها كانت سعيدة بالطبع. ألم تنجح للتو بأكثر الأمسيات إثارة ومصيرية بحياتها كلها؟ ألم يكن الاصبع المشع للشهرة والنجاح يشير اليها؟ اذا لم تستطع أن تشعر بالسعادة والارتقاء هذا المساء بالذات فلن تشعر بذلك مطلقاً في المستقبل.

أجبرت ناتاشا نفسها وبتصميم على الاشراق والسعادة وهي توقع للمرة الأولى بحياتها على دفتر ذكرى المعجبين وهي بطريق مغادرتها للاوبرا وبتناولها للعشاء الفاخر برفقة أصدقائها والسيدة ايزابيللا في سكن الطالبات.

«ستتناولين لاحقاً العشاء في السافوي بعد العرض ناتاشا» تنبأت السيدة ايزابيللا: «لكني سأكون دوماً فخورة بالقول أنني من طهى لك العشاء بأول حفلة ظهور براق لك».

«شكراً لك، شكراً لكم جميعاً» رددت ناتاشا بصدق: «بما أنني لا أستطيع تناول العشاء مع أهلي فأنتم الوحيدون الذين أرغب بمشاركتهم هذه الليلة».

«أعتقد انك كنت لتكونين بصحبة خوليو روتسو لو أنه لم يكن مضطراً للذهاب الى المستشفى؟» قالت ايفا بخفة.

«آه، لا أعرف. كدت أن أموت من الرعب حين سمعت بحادثة انزلاقه

معتقدة أنه لن يترأس الفرقة في الفصل الأخير».

«وكدنا أن نموت نحن من الدهشة حين رأيناه يمسك عصاه بيده اليسرى» أعلنت لوليتا: «يجب أن أقول أنه كان جباراً لفعل ذلك. لا شك أنه كان يشعر بالألم الكبير».

«أجل» ردت ناتاشا ببطء وللحظة شعرت وكأن يده على رأسها وسمعته يقول: «اتركها».

لكنها تذكرت فجأة مللـه وعدم اكتراثه الفظ برفض غصن زيتونها بعد أن انتهت حاجته اليها. وظلت صامتة الى أن قالـ ـ لوليتا.

«لقد تلقيت باقات رائعة من الزهور صحيح؟».

«أجل رائعة بما فيها باقتكم» قالت ناتاشا وهي تبتسم بامتنان للجميع.

«من أرسل الورود الحمراء؟» سألت السيدة ايزابيللا: «الورد الاحمر يعني الحب الحقيقي لا؟».

«حسناً، ليس بهذه الحالة!» ردت ناتاشا ببرود: «انها من خوليو روتسو».

«وما هي الرسالة التي كتبها لك مع الباقة؟» سألت ماريانا بفضول.

«فقط «خ. ر». لم يكن هذا كما توقعتم صحيح؟».

«ولا «حظاً سعيداً» أو أي شيء من هذا القبيل؟» تمتمت لوليتا بدهشة: «لقد استغرقت ساعتين لأجد الجملة المناسبة لباقتنا».

«أنا واثقة من ذلك، لكنك بالطبع تختلفين عن خوليو روتسو» قالت ناتاشا.

«حسناً. أنا بالكاد أستطيع تصديق ذلك» قالت لوليتا ونهضت لتفحص البطاقات التي كانت موجودة على الباقات والتي جمعتها وإيفا قبل وضع الازهار بالمياه: «أجل أنت على حق. على الأقل...».

صمتت لوليتا فجأة وتناولت ورقة صغيرة وعادت بها الى الطاولة. «أظن أن هناك بطاقة بداخلها ناتاشا. حرفي «خ. ر» هما على المغلف الخارجي».

«ماذا؟» هتفت ناتاشا فجأة وبدهشة: «لم أعرف ذلك» وبلهفة هائلة رغماً عنها تناولت الورقة وفتحتها لتجد بداخلها وبخط جميل وأنيق العبارة

www.rewity.com
RAYAHEEN

التالية:

«لم تكن فكرتي أن أشتري سلطتي عليك ناتاشا. أنا فقط وقعت بحب صوتك وكنت مصمماً الا أدع أي شخص يفسده. الليلة ستكون برهاني عن ذلك. خوليو روتسو».

«آه، لا!» هتفت فجأة لدهشة الجميع ونهضت ناتاشا من مكانها: «وأنا قلت أنه لا يوجد أي تعليق».

حدقوا جميعاً بملامحها المذهولة لكنها لم تراهم أمامها فقط هرعت الى جهاز الهاتف وطلبت رقم منزله.

«شقة السيد روتسو من المتكلم؟» ردت مدبرة المنزل كما يبدو.

«هل عاد السيد روتسو بعد؟».

«كلا، كان عليه الذهاب الى المستشفى بعد العرض. لقد اتصل بي منذ لحظات وقال أنه يوشك على مغادرة المكان وأنه سيتناول العشاء في الخارج قبل عودته الى المنزل. هل تريدين أن تتركي له رسالة؟».

«كلا، شكراً لك».

وأعادت ناتاشا السماعة الى مكانها واتكأت للحظة على الحائط.

«لقد وقع بحب صوتي. وقع بحب.. لكن أكان الحب للصوت فقط؟».

وفجأة أصبح هذا السؤال هو أكثر أسئلة العالم الحاحاً والتي ترغب بسماع الرد عليه. لم يعد أي شيء اخر مهماً. لا الشهرة ولا النجاح لا المجادلة ولا السلام. أكان هو يحب صوتها فقط، عليها أن تعرف ذلك.

وبدون أي اعتبار للوقت أو المكان أو للياقة والتحفظ عادت الى غرفة الطعام وقالت:

«أيها الأعزاء آسفة لكن عليكم متابعة العشاء بدوني. يجب أن أغادر».

«تغادرين؟» صاح الجميع. وأضافت لوليتا: «لكنها بعد منتصف الليل».

«ليس بيدي حيلة. يجب أن أغادر. هناك.. هناك شيء يجب أن أستوضحه».

«لكن ألن تنتظري حتى الصباح؟» سألتها ايفا.

«آه، كلا.. كلا» صاحت ناتاشا.

«الى أين تذهبين؟» سألتها لوليتا بقلق.

«لرؤية خوليو روتسو».

«سيكون حانقاً اذا ما أزعجته بعد العرض» احتجت لوليتا.

وقالت السيدة ايزابيللا بصرامة: «لا يمكن أن تزوري رجلاً بمنزله بمثل هذا الوقت!».

«لا وقت عندي للتفكير بذلك الآن» ردت ناتاشا وغادرت المكان.

سارت لبعض الوقت قبل أن تجد التاكسي وتصعد به متجهة الى وجهتها.

«هذا ما لم أستطع أن أتقبله حتى حينها وهذا ما لم أجده قابلاً للتسامح منذ ذلك الحين. السؤال هو هل يعتبرني هو مجرد صوت؟».

عاد التعقل قليلاً اليها والسيارة تسير بها الى وجهتها وتكاثرت الأسئلة برأسها حول ما ستقوله لربة المنزل بمثل هذه الساعة وحين وصلت الى المكان كان الندم على التسرع قد أخذ منها كل مأخذ لكن لم يكن من مجال للتراجع الآن.

نزلت من السيارة ودقت على جرس الباب بأصابع مرتعشة وهي تحضر بذهنها الجملة التي ستقولها لمدبرة المنزل.

تلاشت الابتسامة عن وجهها حين فتح الباب وكان خوليو روتسو برداء نوم أسود فاخر يقف خلف العتبة.

«ناتاشا! ما الذي أتى بك بهذا الوقت يا فتاتي؟».

«أريد.. أريد محادثتك.. لو سمحت» تمتمت.

«بالطبع، تفضلي» قال وتنحى لها فدخلت بأقدامها المعتادة الى الاستوديو فتبعها ببطء وهو ينير الاضواء.

ثم وقف وأخذ ينظر اليها ببعض العدائية والتعب وسألها باختصار: «ما الأمر؟».

«انه حول.. حول البطاقة على باقة الزهور» قالت بارتباك.

«آه.. أجل؟».

«لم أكن قد وجدتها حين سألتني اذا.. اذا كان عندي أي تعليق» وقفت هناك وهي تغلق وتفتح يدها بعصبية: «رأيت فقط المغلف. اعتقدت انك اكتفيت فقط بوضع أول أحرف اسمك على البطاقة. و.. وحين سألتني لم

أفهم قصدك بالسؤال».

«فهمت» قال وفمه يلتوي قليلاً: «لكن حين عدت الى المنزل.. قرأت البطاقة؟».

«أجل».

«اذن.. ماذا؟».

«لهذا أنا هنا. أكان.. أكان صحيحاً ما كتبته على البطاقة؟».

«انه لم يكن بنيتي أبداً شراء سلطتي عليك؟ أجل، كان صحيحاً».

«لا، ليس هذه النقطة. أنا أتقبل ذلك الآن. النقطة الثانية. حول.. حول..».

«وقوعي بحب صوتك؟» أكمل الجملة لها باعتبار رقيق لمشاعرها بطريقة لم تعهده بها من قبل: «أجل، بالطبع. لقد وقعت بحب صوتك منذ اللحظة الأولى التي سمعته بها. فوراً وفي الحال».

«بـ.. بصوتي!؟ فقط.. بصوتي؟».

مرت فترة صمت غريبة ثم ضحك باحتجاج وسأل: «ماذا تريدينني أن أقول أكثر من ذلك؟ انني قد وقعت بحبك أنت باللحظة التي رأيتك بها؟».

«فقط اذا.. اذا كان هذا صحيحاً».

«كلا، هذا ليس صحيحاً».

«آه، فهمت» قالت وغضت بصرها وأخفت برموشها عيونها وهي تجاهد بكل قوة الا تنهار وتبدأ بالبكاء الآن وأمامه بالذات. لكن ورغماً عنها سقطت دمعتان على وجنتاها ورأسها منحني الى الأسفل. ثم قال ذلك الصوت المحبب النصف ساخر برقة: «أعتقد انني استغرقت ثلاثة أسابيع ونصف حتى أقع بحبك».

«أيها المتوحش!» صاحت ورفعت عيونها اليه ودموعها تنهمر على وجهها: «أيها المتوحش! كيف تجرؤ على تعذيبي هكذا».

«لا أعرف» قال وصار فجأة قربها وذراعه اليسرى حولها: «ولا أعرف كيف بإمكانك ذرف دموعك علي يا حبيبتي الصغيرة الغاضبة. أنا لا أستحق ذلك».

«كلا، انت لا تستحق ذلك» قالت بين شهقاتها وهي تدفن رأسها

بصدره.

«لكني احبك. بطريقتي المتعجرفة الغير كاملة والقاسية أحياناً. أنا أعبدك. هل تستمعين لي؟».

طأطأت رأسها مبقية اياه مكانه.

«حسناً، استمعي جيداً اذن» قال بنصف اغاظة ونصف حنان: «لأنني لن أتفوه بهذا لك مجدداً على ما أظن. أنا لا أستحقك. انت دافئة ومتعقلة وانسانية بالأساس ولهذا أنت لا تقاومي متوحش بارد ونرجسي مثلي. حين أنظر اليك أشعر وكأنني أنظر الى الشمس وحين أستمع لغنائك أشعر وكأنني أستمع لموسيقى الكون. كان من الحتمي جداً لي أن أقع بحبك. المعجزة هي أن تحبيني أنت. اذا ما تزوجتيني فلن تكوني دوماً سعيدة...».

«اذا لم أتزوجك فإنني لن أشعر بالسعادة مطلقاً» قالت وهي تنطق فجأة من أعماق قلبها وعقلها معاً: «أعرف أن بعضاً مما تقوله عن نفسك صحيح لكني لا أهتم. أعرف انك ستجعلني أذرف الكثير من الدموع لكن...».

«ليس الكثير يا حبيبتي. أعدك بذلك. وبعض الأسلحة موجودة بين يديك الآن أتعرفين. باعترافي أنني أحبك لا بل أعبدك فإنني أقدم لك السلطة بالتحكم بي».

«لكنك قادر تماماً على استرجاع ذلك أحياناً» قالت بمرح عارم.

«كلا. لا أستطيع. قد لا أكون مانحاً كريماً أو سهل العطاء. لكن ما أعطيه لا أسترجعه مطلقاً. لا كلمتي، ولا صداقتي ولا حبي».

«هل سبق وأن.. أن أعطيت حبك لاحداهن من قبل؟».

«ولا لأية امرأة».

صدقته وعرفت أن كلماته صادقة مدركة أن ما سمعته حوله وحول جوليا بورتيغي كان مجرد اشاعات.

أحاطت رقبته بذراعيها وتنهدت بعمق قبل أن يغرقا سوياً بعناق حار أرسل ناتاشا الى عوالم لم تختبرها ولم تعتقد بوجودها من قبل. وحين أبعدها قليلاً عنه أخيراً نظر عميقاً داخل عيونها وحبه يتدفق من كل ملامحه.

«قد تكونين ملاكاً ناتاشا لكني ليس كذلك من الأفضل أن تعودي الى سكن الطالبات الآن وإلا فإن علينا أن نتزوج وعلى الفور».

«أنا لا أمانع بذلك مطلقاً. لكن...».

«لكن. علينا الانتظار حتى يوم الأحد. وتأكدي أن شيئاً لن يتغير ببرنامج تدريبك. فأنا سأقسى عليك كما أقسى على نفسي بالضبط. ولكن تذكري مهما قسوتُ انني أحبك».

«وتذكر أنه مهما تقلبت فإنني أحبك».

غرقا مجدداً بموجات الحب ونيرانه قبل أن يسير بها الى المصعد ويقول:

«منذ الغد سيقدم لك العالم على طبق من فضة. لكن ستمر سنة أو سنتين قبل أن تكتسبين الحق بتقبله. امل أن لا يكون الانتظار الطويل مطولاً ونحن سوياً».

«سيكون قصيراً جداً» أكدت له بابتسام وهي تصعد المصعد: «أراك بدرس الموسيقى غداً سيد روتسو».

ضحك مربتاً على وجنتها وقال: «لا دروس موسيقى غداً. غداً ستتحدث والدرس سيكون يوم الاثنين».

قبلها مجدداً وانطلقت الى لحن السعادة الى لحن الحب الأبدي معه وله وقربه.

www.rewity.com
RAYAHEENA